

ملخص

د. مختار مصطفى

خلفاء راشدين



بسم الله الرحمن الرحيم

تلخيص

حقبة من التاريخ

مقاصد مهمة بين يدي التاريخ

(1) الحقبة التي يقصدها المؤلف هي : الفترة الزمنية من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى مقتل الحسين رضي الله عنه سنة 61 هجري. وتكلم عنها في الباب الأول من كتابه مبرزاً ومحققاً أهم أحداثها من غير استقصاء، ومنبهاً على بعض القصص المزورة، وكان قبل ذلك قد مهد بمقدمة تكلم فيها عن المنهجية الشرعية في التعامل مع تاريخ تلك الحقبة تحديداً، كما عقد الباب الثاني من الكتاب للحديث عن عدالة الصحابة، ذكراً أهم الشبهات التي أثيرت حولهم للنيل من عدالتهم، ورد عليها، وختم الكتاب بالباب الثالث الذي استعرض فيه قضية الخلافة، وذكر أدلة الشيعة على أولوية علي رضي الله عنه بها بالتفصيل، ورد عليها رداً تفصيلياً علمياً يقول عنه: "قد لا تجده في غير هذا الكتاب".

(2) المؤلف تردد في الكتابة في تاريخ هذه الحقبة تحديداً، وقد علل ذلك بالآتي:

أ- أن غالب من كتب فيها كتب بباطل، وقليلاً منهم كتب بحق.

ب- أن الأصل عند العلماء وجوب إمساك اللسان عن الكلام فيما جرى بين الصحابة من فتن وحروب، إلا إذا اقتضت المصلحة الوقتية ذلك، ومست الحاجة، فيجب عندها الكلام فيه، لكن بعدل وعلم.

(3) لكن المؤلف عاد وحسم أمره وقرر الكتابة في الموضوع؛ لأنه رأى أن المصلحة الوقتية اليوم تقتضي ذلك، لما نشهده من جحود وإنكار وتشويه لمقام هذا الحيل من الأمة، توصلنا إلى الطعن في الإسلام نفسه، لأنهم نقلوا الكتاب والسنة، والطعن في الناقل طعن في المنقول.

(4) التاريخ أو التورخ هو: تأقيب الأحداث وتحليلها لأخذ العبرة منها. و أمره وشأنه عظيم ومهم:

أ - لأنه من مقومات حاضر الأمة، وبه تستشرف مستقبلها.

ب - ولأن الأمة لا تستطيع تربية وبناء شخصيات أجيالها على ثقافتها وحضارتها بغير القدوات التاريخية.

(5) يتميز تاريخنا الإسلامي عن غيره من التواريخ بـ:

أ- ما يحمله - في كثير من صفحاته - من أمجاد وبطولات وانتصارات للحق والخير على الباطل والشر.

ب - غناه بالمادة التاريخية.

ج - أنه محفوظ بالأسانيد الثابتة في جزء مهم منه.

د - أن فيه أفضل فترة تاريخية في تاريخ الأمم البشرية قاطبة، وهي تاريخ حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة صحابته الكرام رضي الله عنهم، الذين هم صفوة البشرية وأفضلها بعد الأنبياء عليهم السلام، فهذا الجزء من التاريخ موضع تأس واقتداء، وهو جزء من ديننا الإسلامي.

(6) إن قدر كل أمة حق ربانية كأممتنا أن تبثلى بأهل باطل يحاولون أن يطمسوا رسالتها وقيمها ودروها في الوجود، وقد فعلوا ذلك مع أمم الأنبياء السابقين عليهم السلام، فحرفوها عن الحق، وحاولوا فعل ذلك مع أمة نبينا صلى الله عليه وسلم، وكان الدور الأكبر لليهود ثم المجوس ثم منافقي العرب ثم النصاري وغيرهم، وقد نتج عن ذلك ظهور تلك الفرق الضالة التي عرفت بها وعانت منها أمة الإسلام، حيث جرى على يديها وما زال كثير من الشر والخراب، وقد كان من إفساد تلك الفرق - وخاصة فرق الشيعة - ما قاموا به من تشويه وتحريف لتاريخنا الإسلامي، لينصروا من خلال تشويه الوقائع باطلهم وأهواءهم التي يسمونها إسلاماً زوراً وبهتاناً، وقد بدأ ظهور هذا السيل من التشويه من روايات وأخبار تاريخية كاذبة اختلقوها واصطنعوها بعد منتصف القرن الثالث الهجري، وعماد هذا التشويه هو دفع الأتباع إلى تعدي الحد الشرعي في محبة الأشخاص أو بغضهم، فقاموا بالغلو

والمبالغة في محبة بعض الصحابة من آل البيت حتى عدوهم معصومين كالأنبياء، وجعلوهم وأبناءهم واحفادهم أئمة في الحكم والتشريع منصوباً عليهم من الله، هذا من جهة، ومن جهة أخرى التقصير والتفريط في حق جموع من الصحابة، حيث عدوهم كارهين لعلي وأبنائه، وظالمين لهم، ومعتدين على إمامتهم غاصبين لها أو مفرطين فيها، وبالتالي كفروا أغلبهم وفسقوهم وأخرجوهم من الإسلام.

(7) أما إذا رجعنا إلى الروايات الصحيحة الثابتة فلا نجد شيئاً مما تدعيه الروايات الكاذبة بل نجد المحبة والأخوة والمودة قائمة بين شخصيات الصحابة من آل البيت وعلى رأسهم علي بن أبي طالب وبين بقية الصحابة - رضي الله عنهم - قاطبة، ومن ذلك أننا في الوقائع التاريخية الثابتة نجد:

= أن أبا بكر وعمر وعثمان يحثون علياً على الزواج من فاطمة، ويقوم عثمان **بشراء درع علي ثم إهدائه** له، كما يقوم أبو بكر بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم **بأخذ ثمن الدرع لشراء جهاز لفاطمة به**، ثم يدعوهم النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم **لشهادة علي تزويجه فاطمة من علي** رضي الله عن الجميع.

= كما نجد علياً يزوج ابنته أم كلثوم لعمر، وينجب منها عمر ابنه زيد وابنته رقية.

= وأيضاً نجد أن علياً يسمي أبناءه: أبا بكر، وعمر، وعثمان.

(8) فضل الصحابة كبير علينا، ولذا يجب أن نرد عنهم الاساءة والطعن، وأن ننزلهم منازلهم التي أنزلتهم إياها النصوص الشرعية القطعية الثبوت (المنقولة بالتواتر) القطعية الدلالة (التي لا يفهم منها إلا معنى واحد).

(9) عقيدتنا نحن أهل السنة والجماعة كما نصت كتب العقيدة عندنا:

= أن الصحابة هم صفوة البشر بعد أنبياء الله ورسله عليهم السلام،

= وأنهم عدول كلهم؛ من لا بس الفتنة منهم، ومن لم يلبسها،

= وعدالتهم - رضي الله عنهم - لا تعنى عصمتهم - كأفراد - عن الذنوب والأخطاء، فلا عصمة عندنا إلا للملائكة والنبیین عليهم السلام، فهم - أي الصحابة - بشر يصيبون ويخطئون، لكنهم إن أجمعوا على قول أو فعل فإجماعهم معصوم من الخطأ،

= وأيضاً ثبت باستقراء العلماء لرواياتهم الدينية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم لا يكذبون، فهم معصومون عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ الدين، وقد دل على ذلك كتاب الله الذي وصف حالهم مع النبي صلى الله عليه وسلم كحال الأشطاء التي تخرج من الزرع، قال تعالى: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات مغفرة وأجراً عظيماً"، حيث أثبت العلم الحديث أن الصفات الجينية للأشطاء - وهي فروع الزرع - تماثل في صفاتها الوراثية الزرع، ومعنى ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم لا يكذبون في نقل الدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه العصمة عن الكذب ضرورية لسلامة نقل الدين وإقامة الحجة على الخلق، ولذا قدرها الله وشاءها فكانت.

= أما مخالفتهم للشرع كأفراد - بخلاف الكذب - فيمكن وقوعها منهم لكنها تتصف بالآتي:

أ - أنها لا تكاد تذكر بإزاء حسناتهم، فهي كقطرة الماء في البحر المحيط، وعليه فهي مغفورة ومغمورة ببحر حسناتهم، فهم تحملوا في سبيل الله الأذى والقهر، وبذلوا أموالهم وانفسهم وهاجروا مفارقين الأهل والأوطان دعوة لدين الله ونصرة له، ودافعوا عن رسوله صلى الله عليه وسلم في وقت عز فيه النصير.

ب - أن ما وقع منها بينهم من فتن وحروب في باب السياسة والحكم، فأغلبها أخطاء اجتهد لا خطايا أهواء، فهي ناشئة عن اجتهد شرعي قصدوا به إصابة حكم الشرع، المصيب منهم فيها له أجران، والمخطئ له أجر واحد.

ج - ثم إنهم إن ارتكبوا ذنباً فإنهم سرعان ما يعودون عنه بالتوبة والالانابة إلى الاستقامة وصلاح الحال، قال تعالى: "والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون".

= ومن حق الصحابة علينا أيضاً أن: نحبههم / ونترضى عنهم / ونستغفر لهم / ونقتدي بهم / ونمسك ألسنتنا عن الكلام فيما جرى بينهم من فتن وحروب / ونتولاهم / ولا نبرأ منهم / ولا نسبهم / بل ندافع عنهم إن طعن فيهم طاعن.

(10) لقد وضع مؤرخونا المسلمون منهجية شرعية للتعامل مع روايات التاريخ الإسلامي عموما وتاريخ الصحابة رضي الله عنهم خصوصا حتى يصل إلينا خاليا من التحريف والتشويه، وهي ذات المنهجية التي ينبغي أن نكتب بها تاريخنا في كل عصر، ومن ملامح هذه المنهجية:

أولاً: التحقق من ثبوت الواقعة التاريخية:

فعندما تردنا الرواية التاريخية لا بد أن ندرسها سنداً ومتناً حسب قواعد علم المصطلح لنرى هل تثبت الرواية أم لا؟، فنحن هنا نقرأ التاريخ ونتعامل مع رواياته كما نقرأ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

صحيح أن الحال في الروايات التاريخية أصعب منه في روايات الحديث؛ بسبب أننا نجد طائفة من روايات التاريخ في كتب التاريخ ليس لها إسناد، أو نجد لها إسناداً لكن بعض رجال الإسناد ليس لهم ترجمة، ولم يتكلم فيهم رجال الجرح والتعديل لأنهم غير معروفين، لكن هذا لا يجوز أن يدفعنا للتساهل في قضية التثبت من صحة الرواية التاريخية كما ينادي بعض الباحثين، وحجتهم في ذلك أننا إن اشترطنا التثبت قلت عندنا المادة التاريخية وضاع منا كثير من التاريخ، والرد على دعاة التساهل هؤلاء هو:

أ - لن يضيع الكثير من التاريخ كما يدعون؛ لأن الكثير من روايات التاريخ موجود بأسانيده في كتب التاريخ وغيرها من كتب العلوم الإسلامية الأخرى؛ ككتب التفسير، وكتب الحديث، وكتب التراجم.

ب - أن تقتصر على الثابت فقط وإن قل خير من أن نتساهل فندخل على تاريخنا من الوقائع غير الثابتة مما يشوه سلفنا ويحرفنا عن ديننا.

= فإن تبين لنا نتيجة لدراسة الرواية سنداً ومتناً أن هذه الرواية؛ لا أصل لها (أي لم ترد في المراجع التي هي مظان أمثالها)، أو أنها موضوعة (يعني في إسنادها كذابون)، أو أنها ضعيفة بسبب إنقطاع إسنادها أو جهالة الراوي أو قلة ضبطه أو فسقه، أو وجدنا علة في متن الرواية تقدر في ثبوتها، فعندئذ نقول إن الرواية غير ثابتة، وبالتالي لا يجوز لنا قبولها ولا بناء حكم أو رأي عليها؛ لأن الأحكام الشرعية لا تبنى إلا على ما ثبت من النصوص، قال تعالى: " ولا تقف ما ليس لك به علم ".

= أما إذا تبين لنا نتيجة الدراسة أن الرواية ثابتة فعندئذ ننظر؛ فإن كانت تحمل مطعناً بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي على ثلاثة أحوال:

(1) أن تدل بظاهرها على الطعن بالصحابة رضي الله عنهم، فيجب عندئذ أن نأولها بما يتفق مع الأصل الكلي المتيقن عنهم الثابت بالكتاب والسنة والإجماع وهو: أنهم عدول كلهم، فنحملها على المعنى الذي يليق ويتفق مع عدالتهم ملتزمين لهم أحسن المخرج والمعاذير، فإن لم نجد لها تأويلاً توفقنا، واتهمنا عقولنا، وقلنا لعل لها تأويلاً لم تصل إليه عقولنا، وكل ذلك تعظيماً لجنان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث جاء في الحديث: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وجاء أيضاً: لا تتخذوهم بعدي غرضاً، وأيضاً لأننا إن حملنا هذا النص الجزئي المحتمل بالمتشابهة على ظاهره دون أن نفهمه في إطار الأصول الكلية المتيقنة المحكمة، فإننا بذلك سنضرب النصوص بعضها ببعض، ونكون قد قدمنا بالمتشابهة على المحكم، والشك على اليقين، ودفعنا المعلوم بالموهوم، وهذا مسلك جهل لا يليق بالعقلاء سلوكه وفعله، كما نكون أيضاً قد ظلمنا الصحابة رضي الله عنهم، قال ابن تيمية: " لا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات، ليتكلم بعلم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا يبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم " أ هـ.

(2) أن تدل صراحة على أن الصحابي قد ارتكب معصية صغيرة كانت أو كبيرة، فعندئذ نقول: إن العدالة لا تعني العصمة، على ما سبق بيانه وتفصيله.

(3) أن يكون موضوعها متعلقا بما جرى بينهم من فتن وحروب في قضايا الحكم والسياسة، فهذا الباب قد أمرنا أن لا نخوض فيه، وأمرنا أن نمسك ألسنتنا عنه، مع اعتقاد عدالة الجميع، ومحبة الجميع، والترضي عن الجميع، وتولي الجميع، والاعتداء بالجميع، وتعديل الجميع، وأن نكل أمر ما جرى بينهم إلى الله تعالى، ونقول: إن ما جرى بينهم لم يكن مبعثه شهوة حكم أو منصب أو جاه أو ثروة أو عصبية جاهلية، فإن الأصل المتيقن عنهم يأبى ذلك، ولكن اختلافهم كان اختلاف اجتهاد شرعي لإصابة حكم الشرع، وهنا اختلفت آراؤهم واجتهاداتهم وحصل ما حصل، والمجتهد المصيب منهم له أجران والمجتهد المخطئ له اجر واحد، ومعلوم أن الأمور كانت مشتبهة جدا، ومعلوم أيضا أن أياد خفية كانت توقد نار الخلاف بين المسلمين آنذاك، فكانوا أقرب لكونهم ضحايا تأمر وأفعال لغيرهم أكثر من كونهم فاعلين، والدليل على أن الصحابة في هذه الأحداث كانوا ضحايا:

ا - ما رواه ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عثمان، إن ولاك الله هذا الأمر يوما، فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه"، فهنا سمى النبي صلى الله عليه وسلم من خرجوا على عثمان بـ "المنافقون"، وأخبر أنه رضي الله عنه سيموت شهيدا، وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال: سعد النبي صلى الله عليه وسلم أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف، فقال: "اسكن أحد، فليس عليك إلا نبي، وصديق، وشهيدان".

ب - روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟ قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أو غير ذلك"، تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض "اه، فالخطاب هنا ليس للصحابة؛ والدليل أن الصحابة إما مهاجرون أو أنصار، ومعلوم أن الأنصار لم يكن لهم دور في الفتن التي حدثت، أما المهاجرون فالحديث يخبر أنهم هم ضحايا الأحداث، وأنهم سيفاتلون بعضهم بعضا بكيد كائد من الأمة، فلم يبق إذا إلا أن يكون المقصود هو جماعة من التابعين، وهذا هو الذي تفيد الروايات التاريخية الصحيحة الثابتة.

أما إذا اقتضت مصلحة الوقت ان نتكلم في هذا الباب لإظهار الحق فيه من الباطل، فعندئذ يجوز لنا ذلك لكن بشرطين: العلم والعدل.

ثانيا: تحليل الواقعة التاريخية وفهمها، وهذا يقتضي من المؤرخ أن:

ا - يحيط بظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة، وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت، وإذا كنا نتحدث هنا عن وقائع تاريخية تتعلق بالصحابة فهذا يستلزم من المؤرخ معرفة بالصحابة، وبما لهم من الحق والمكانة.

ب - يحيط بالعقيدة التي يدين بها شخوص الحدث وتوجه تصرفاتهم، فلا ينبغي عند تفسير الحدث التاريخي النظر إلى عامل واحد فقط، كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة، وإنما لا بد من أن ينظر في تفسيره إلى جملة العوامل المؤثرة فيه، وخاصة العوامل العقائدية والفكرية، ومن أجل تحقيق ذلك في التاريخ الإسلامي، فلا بد أن يكون المؤرخ عارفا بالإسلام كتابا وسنة وعقيدة وأخلاقا وعبادة ومعاملة، حتى يتكلم في تاريخه بعلم.

ج - يكون موضوعيا متحريرا للحقيقة، سليم الطوية لأهل الإسلام، حتى يتكلم في تاريخه بعدل.

د - ينظر إلى تحليل الواقعة التاريخية على أنه اجتهاد قد يصيب فيه وقد يخطئ، فلا يجزم ولا يقطع بما يستنتج ويحلل، ولذلك علينا عندما نقرأ لمؤرخي التاريخ أن نفرق دائما بين أصل الرواية و رأي المؤلف.

(11) من أفراد المنهجية الصحيحة في التعامل مع كتب التاريخ الإسلامي أيضا: أنه يجب على قارئها أن يقرأ مقدمة الكتاب الذي يريد أخذ المعلومات منه؛ حتى لا يقع في أخطاء علمية فاحشة، ويتشوه بالتالي التاريخ الإسلامي في نظره وفكره، وخير مثال على ذلك هو كتاب: تاريخ الأمم والملوك للإمام ابن جرير الطبري، والمعروف بتاريخ الطبري،

فالطبري في مقدمة كتابه نص على أنه يجمع الصحيح الثابت من الروايات التاريخية والمستنكر المستثنع الكاذب منها، فهو لم يلتزم بالاختصار على الروايات الصحيحة، شأنه في ذلك شأن علماء عصره من المؤرخين والمحدثين الأوائل، وهو يحذر في مقدمته القارئ من ذلك حتى لا يلومه إن وجد في تاريخه رواية كاذبة، ويقرر الطبري أنه لا مسؤولية عليه في ذلك؛ لأنه يسند كل ما يروي، أي يذكر اسم من نقل عنه الرواية، ويجعل المسؤولية بالتالي على اثنين: أ - الذي نقل الطبري عنه الرواية. ب - القارئ. فالطبري يرى أن من أسند فقد أحال، يعني أحال - بإسناده الرواية - المسؤولية عنه إلى غيره.

(12) ممن روى الطبري عنهم في تاريخه مؤرخين كبار، لكنهم كذابين متروكين، لا يوثق بهم عند علماء الجرح والتعديل، من أمثال:

أ - أبي مخنف لوط بن يحيى حيث روى عنه 587 رواية، تتعلق بالفترة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى 61 هـ تاريخ مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في أول عهد يزيد بن معاوية رضي الله عنه، وما يميز أبا مخنف هذا ثلاثة أمور: كونه صاحب بدعة وانحراف، وكونه كذابا في الرواية، وكونه كثير الرواية.

ب - الواقدي.

ج - سيف بن عمر التميمي.

د - الكلبي.

(13) بسبب جمع تاريخ الطبري للروايات الصحيحة وأيضا الروايات الكاذبة بين دفتيه نجد أن أهل السنة وأهل البدعة كليهما يأخذان منه ويحتجان به، فالمحققون من أهل السنة يأخذون الروايات الصحيحة، وأهل البدعة يأخذون الروايات الكاذبة كما يأخذون من الروايات الصحيحة ما يوافق أهواءهم فقط.

(14) وعليه فإذا كان الباحث يستطيع أن يمحس الروايات صحيحها من كاذبها، وأراد مرجعا مطولا موسعا في موضوعه، فليرجع إلى تاريخ الطبري، فهو المرجع المقدم على غيره لأسباب أربعة:

أ - قرب عهد الإمام الطبري من عهد الصحابة.

ب - أخباره في كتابه يرويها بالأسانيد.

ج - منزلته العلمية وجلالة قدره، فهو العالم المجتهد فقها وتفسيرا وتاريخا.

د - أكثر كتب التاريخ التي ألقت بعده تنقل عنه، فهو أبو المؤرخين.

(15) أما إذا كان الباحث لا يستطيع تمحيص الروايات صحيحها من كاذبها، فأمامه كتب محققة مطولة موسعة يستطيع الأخذ منها، وأخرى محققة مختصرة:

أ - المراجع المحققة المطولة الموسعة: منها القديم: كالبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الإسلام للحافظ الذهبي، الطبقات الكبرى لابن سعد، ومنها الحديث: كتاريخ الإسلام لمحمود شاكر، وكتب الدكتور على بن محمد الصلابي حفظه الله.

ب - المراجع المحققة المختصرة: منها القديم: كتاريخ خليفة بن خياط ورواياته مسندة، وكذا تاريخ المدينة لابن شبة وأيضا رواياته مسندة، وكتاب العواصم من القواصم لابن العربي الفقيه المالكي، ومنها الحديث: كعصر الخلافة الراشدة للدكتور أكرم ضياء العمري، وسلسلة أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ للدكتورين: جمال عبد الهادي - فك الله أسره - والدكتورة وفاء جمعة، وهي سلسلة قيمة جدا، و الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري وأيضا كتاب ومرويات

أبي مخنف في تاريخ الطبري كليهما للدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى، و تحقيق موقف الصحابة من الفتن للدكتور محمد أمحزون، ومرويات خلافة معاوية في تاريخ الطبري لخالد غيث، وأحداث وأحاديث فتنة الهرج للدكتور عبد العزيز دخان.

(16) من المنهجية أيضا أنه لا يجوز أن نأخذ تاريخنا الإسلامي من كتاب ألفه كافر أو حتى من مسلم فاسق، من مثل كتب جرجي زيدان النصراني، و كالكتب التي ألفها المستشرقون، وكذا لا يجوز أخذ تاريخنا من كتب الأدب؛ لأنها تهتم بالسياق وجمال القصة وحسن السبك، وتختلط فيها تحليلات الحدث مع الحدث نفسه، ولا تلتفت إلى تحقيق الوقائع وصدقها، من مثل كتب عباس العقاد وطه حسين وخالد محمد خالد، بل قد يلجأ الأديب إلى اختراع أحداث وشخصيات؛ ليضفي على العمل مزيدا من الإثارة والتشويق، ولهذه الأسباب أيضا لا يجوز أخذ تاريخنا من المسلسلات والأفلام السنمائية والتلفزيونية، من مثل مسلسل النبي يوسف عليه السلام، ومسلسل عمر بن الخطاب، وفيلم الرسالة، وفيلم الناصر صلاح الدين وغيرها.

(17) ومن الكتب القديمة التي يجب الحذر منها وعدم أخذ تاريخنا الإسلامي منها؛

أ - إما لعدم اختصاصها بالتاريخ، كونها كتب أدب؛ لا تهتم بإيراد سند أو تحقيق ثبوت واقعة؛ ككتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، أو أنها كتب أدب أصحابها خبيثاء يتعمدون الدس والتشويه والكذب في نقل الأخبار من مثل كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، أو أنها كتب أدب لا يوثق بأصحابها عند علماء الجرح والتعديل، كما أن فيها تحليلات وتأويلات فاسدة، من مثل كتاب شرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، بالإضافة إلى أن كتاب نهج البلاغة نفسه مذكوب على من ينسب إليه وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

ب - أو أنها كتب مختصة بالتاريخ، لكن لا تصح نسبتها لأصحابها أي مذكوبة على من نسبت إليهم؛ ككتاب الإمامة والسياسة المنسوب كذبا للعالم السني ابن قتيبة، أو أنها كتب تاريخ لمؤلفين خبيثاء تخلو كتبهم من الأسانيد، من مثل كتاب تاريخ البعقوبي، وأيضا كتاب مروج الذهب للمسعودي الذي قال فيه ابن تيمية: "في تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصىه إلا الله".

(18) وسائل الإخباريين الكذبة في تشويه التاريخ الإسلامي:

أ - الاختلاق والكذب: مثال: ما أورده من أن عائشة رضي الله عنها لما جاءها خبر موت علي رضي الله عنه سجدت لله شكرا.

ب - الزيادة على الحادثة الصحيحة أو النقص منها: مثال: حادثة سقيفة بني ساعدة، فأصل الحادثة الصحيح لا يتعدى الصفحة ونصف في صحيح البخاري، لكنها تصل إلى عشر صفحات في بعض مراجع الشيعة بالزيادات الكاذبة.

ج - التاويل الباطل للأحداث لتوافق بدعهم وأهواءهم: مثال: خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في غدير خم وقوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه"، وأيضا حادثة استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه على بني هاشم عند خروجه لغزوة تبوك وقوله له: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى، وسياتي بيان كلا التاويلين الباطلين للحادثتين والرد عليهما بالتاويل الصحيح لاحقا إن شاء الله تعالى.

د - إبراز المثالب والأخطاء: مثال: إيراد إعتراض عمر رضي الله عنه على بنود صلح الحديبية، وفرار عثمان رضي الله عنه يوم أحد، في معرض الاستدلال على عدم عدالة الصحابة رضي الله عنهم جميعا.

هـ - تحويل المحاسن إلى مساوئ ومثالب: مثال: إطلاق الشيعة لقب مذل المؤمنين على الحسن بن علي رضي الله عنهما لأنه تنازل عن الخلافة لمعاوية واصطاح معه، وجمع بذلك كلمة المسلمين، في حين أن ذلك من أفعاله الحسنة التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها ستجري على يديه، فقد جاء في الحديث: "إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين"، فالنبي صلى الله عليه وسلم يمدح فعله وهم يذمون.

و - صناعة الأشعار لتأييد حوادث تاريخية: مثال: ألفوا شعرا يذمون به عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه وهو قولهم: تبغلت، تجملت، ولو شئت تفيلت، ثم نسبوه كذبا للصحابي ابن عباس رضي الله عنهما.

ز - وضع الكتب والرسائل المزيفة: مثال الكتب المزيفة التي ألفوها ثم نسبوها إلى أعلام من أهل السنة: كتاب الإمامة والسياسة المكذوب على ابن قتيبة، وكتاب نهج البلاغة المكذوب على الإمام علي، ومثال الرسائل المزيفة: تلك الرسائل التي كانت تكتب على لسان الصحابة من أمثال علي وعائشة وطلحة والزبير وتختتم بأختامهم تزويرا، ثم ترسل إلى الأمصار وفيها التآليب على عثمان رضي الله عنه وولاته، وأنه فعل كذا وفعلوا كذا، حتى غلت قلوب الناس عليهم، وأدى ذلك إلى حصار وقتل الخليفة الراشد المظلوم الشهيد عثمان رضي الله عنه، وكان ذلك من فعل عبد الله بن سبأ اليهودي وأتباعه لعنهم الله.

ح - استغلال تشابه الأسماء: مثال: فترى الشيعة ينسبون كتاب دلائل الإمامة الواضحة ونور المعجزات الذي ألفه محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر الطبري الشيعي، ينسبونه كذبا إلى محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري الإمام السني المعروف وذلك تغريرا بالمسلمين.

مثال ثان: يأخذون صحيح أحمد بن حجر الهيثمي الفقيه لحديث وهو ليس من أهل الحديث، وينسبونه إلى أحمد بن على بن حجر العسقلاني الإمام المحدث الكبير، تغريرا بالمسلمين.

(19) متى بدأ تفعيل منهج التثبيت في نقل الأخبار والتحقيق من صدق الرواية أو كذبها عند المسلمين؟

يقول الإمام التابعي ابن سيرين: "لم يكونوا يسألون - أي الصحابة والتابعين - عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة (وهي خروج الفرق الضالة في نهاية عهد عثمان وما رافقها من تزييف للرسائل) قالوا: سموا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع، فلا يؤخذ حديثهم ". اهـ

قال تعالى: "يأيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على فعلتم نادمين " .

الباب الأول

الأحداث التاريخية من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى سنة 61هـ

تمهيد

بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته

(1) لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم الأربعين من عمره بعثه الله للناس بشيرا ونذيرا، فعاداه قومه وآذوه هو وأتباعه من الصحابة الذين آمنوا به وهاجروا من مكة إلى المدينة وهم القسم الأول من الصحابة المسمى بالمهاجرين، وقد أثنى الله على المهاجرين من الصحابة بقوله تعالى: " للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون " ففي هذه الآية يركي الله باطن المهاجرين وظاهرهم ويسميهم الصادقون، وفي آخر الفترة المكية من الدعوة وفق الله مجموعة من الناس من الأوس والخزرج للإيمان برسوله والموافقه على تنصيب النبي صلى الله عليه وسلم حاكما على بلدتهم الطيبة المدينة، فتمت بيعة العقبة الأولى، ثم بيعة العقبة الثانية، التي انتقل بعدها الصحابة المهاجرون إلى المدينة، وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبذلك أصبح للمسلمين كيان سياسي أو دولة مكتملة الأركان لأول مرة، وفي المدينة قام الصحابة من الأنصار باقتسام مواردهم المعيشية أموالا ودورا وغيرها مع إخوانهم من الصحابة المهاجرين، في صورة من الإيثار لم يعرف تاريخ البشرية لها مثيلا، حتى كان الأنصاري الذي له زوجتان يقول لأخيه المهاجر: اختر أيهما شئت أطلقها فتنزوجهما. وقد أنزل الله ثناء عليهم في قوله تعالى: " والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " ففي هذه الآية أيضا زكى الله الأنصار ظاهرا وباطنا وسماهم المفلحون. والخاصة أن النبي صلى الله عليه وسلم بدعوته ومؤازرة صحابته من المهاجرين والأنصار استطاع أن ينشر الإسلام في جزيرة العرب كلها في ثلاث وعشرين سنة وذلك قبل أن يتوفاه الله.

(2) توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تصديقا لقوله تعالى: " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين " .

(3) وقد نزل خبر موته صلى الله عليه وسلم على الصحابة نزول الصاعقة، حتى أنهم أصيبوا بصدمة جعلت أغلبهم لا يصدقون ذلك، فعمر كان يمسك سيفه ويهدد كل من يقول أن النبي مات، ويصفه بالنفاق، ويتوعد بالقتل، وكان يقول: ما مات رسول الله وإنما ذهب لميقات ربه كما فعل موسى عليهما السلام وسيعود، وأما علي فقد دخل بيته وأغلق عليه بابيه، وأما عثمان فقد خرس فلا يتكلم بشيء، هكذا كانت حالهم، لقد أنستهم المصيبة الآية السالفة، حتى جاءهم أبو بكر الصديق وكان عند زوجته حبيبة بنت خازجة في أطراف المدينة فلم يشهد الوفاة، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه وقبله بين عينيه وقال: " بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا "، ثم خرج إلى الصحابة وخطب فيهم؛ ليعيد إليهم السكينة واليقين، ويزيل أسباب عدم تصديقهم لوفاته صلى الله عليه وسلم قائلا: " من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت "، ثم تلا عليهم الآية، وعندها صار الصحابة يبكون، وكأنهم لم يسمعوا تلك الآية إلا في ذلك الوقت - كما يقول الصحابي أنس - مع أنهم كانوا يعرفونها، لكن المصيبة أنستهم إياها.

(4) ولسائل أن يتساءل ما الحكمة من تقدير الله لموقف عمر في إنكاره العلني الشديد لوفاة النبي صلى الله عليه وسلم؟ وقد أجاب بعض العلماء على هذا التساؤل بأن ذلك كان لطفا من الله بالصحابة في المدينة رضي الله عنهم؛ وذلك أن قبائل الأعراب حول المدينة لما سمعوا بمرض النبي الشديد بثوا العيون لتأنيهم بأخبار وفاته صلى الله عليه وسلم.

وسلم حتى تكون ساعة وفاته هي ساعة هجومهم على المدينة، فكان موقف عمر مربكا لجواسيسهم، إذ اختلفت بسبب موقفه الأخبار الواردة لهم؛ فمنها من يقول: مات، ومنها من ينكر موته، وهذا التناقض في نقل أخبار الوفاة جعلهم يحجمون عن مهاجمة المدينة حتى يتيقنوا، وبذلك أعطى الله صحابة نبيه الوقت اللازم لاستيعاب الصدمة والإفاقة منها، وفوت على أعدائهم القريبين منهم أن يفاجئوهم على حين غرة.

(5) كانت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وما زالت من أعظم مصائب الدنيا، فقد جاء في الحديث: "إذا أصاب أحدكم مصيبة، فليذكر مصيبتة بي، فإنها أعظم المصائب".

وقد نعت ابنه فاطمة قائلة: "يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه في جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه".

وأظلمت الدنيا بموته، فهذا أنس يقول: "لما كان اليوم الذي دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأيدي - وإننا لفي دفنه - حتى أنكرنا قلوبنا".

وحزن الصحابة على انقطاع الوحي بوفاته صلى الله عليه وسلم، فهذا أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم، فلما رأتهما بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟! ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعرف أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولكني أبكي أن الوحي انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلتا يبكيان معها.

(6) قام العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب والفضل بن العباس وآخرون - رضي الله عنهم - بغسل وتكفين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصلى عليه ويدفن؛ وذلك لأن هؤلاء أقاربه وأولى الناس به.

سقيفة بني ساعدة وترشيح أبي بكر للخلافة

(1) في أثناء انشغال هؤلاء الصحابة بتجهيز الجثمان الشريف، اجتمع بعض الأنصار من الأوس والخزرج في سقيفة بني ساعدة ليتفقوا على من يبايعونه للخلافة من بينهم، فاتفقوا على زعيم الخزرج سعد بن عباد رضي الله عنه، وقد كان ذلك اجتهدا منهم ظنوا به أنهم أصابوا مراد الله منهم في هذا الوقت الحرج، فقد رأوا ضرورة الاستعجال بالاجتماع للبت في أمر سد الفراغ السياسي لمنصب الخليفة الذي شغل بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم الانتظار حتى الانتهاء من تجهيزه ودفنه صلى الله عليه وسلم، وقد أصابوا في هذه الجزئية من اجتهداهم، خاصة مع ما كان يتهدد المدينة من خطر هجوم الأعراب من حولها عليها، فكان لا بد من وجود خليفة قائد خلفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتقي المسلمون بقراراته هذا الخطر، لكن الأنصار من جهة أخرى أخطأوا في الجزئية الأخرى من اجتهداهم وهي تلك المتعلقة بأن هذا الخليفة لا بد أن يكون من الأنصار لا من المهاجرين، ويمكن هنا أن نعتذر لهم عن خطئهم هذا بأنهم:

أولا: قدروا أن إخوانهم من المهاجرين قد استولى عليهم الحزن بالوفاة؛ لأنهم الألق بـرسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب القرابة، فلندعهم وأحزانهم ولا نشغلهم بهذا الموضوع.

ثانيا: كانوا يروون أنهم أهل المدينة المعنيون بسلامتها أولا قبل غيرهم، وأنهم المستهدفون أساسا من أي اعتداء عليها؛ لأنهم هم الذين شكلوا القوة الأكبر التي قاتل بها النبي صلى الله عليه وسلم الناس.

ثالثا: كانوا يتصورون أن إخوانهم من المهاجرين لن يبقوا في المدينة بل سيعودون إلى مكة.

رابعا: نسوا النص الشرعي الحاسم في القضية وهو حديث: "قريش ولالة هذا الأمر" وفي رواية: "الأئمة من قريش"، ولذلك عندما ذكرهم أبو بكر بالنص الشرعي تذكروا ورجعوا عن اجتهداهم ووافقوا المهاجرين على اجتهداهم، فقد جاء في رواية عند أحمد - بسند صحيح مرسل - أن أبا بكر قال: ولقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - وأنت قاعد - : "قريش ولالة هذا الأمر، فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم"، فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء".

(2) لما علم أبو بكر وعمر عن أمر اجتماع الأنصار وما عزموا عليه توجهوا إليه ولقيا في الطريق أبا عبيدة فصحبهما، وتوجهوا جميعا إلى سقيفة بني ساعدة لمنع الأنصار من ترشيح أحد منهم، من خلال الحوار بالأدلة الشرعية.

(3) هذه الحادثة فيها روايات صحيحة ثابتة رواها أئمة الحديث، وفيها أيضا روايات كاذبة رواها الإخباريون الكذابين، ونختار هنا نموذجين من تلك الروايات: رواية ثابتة للبخاري في صحيحه، ورواية كاذبة لأبي مخنف لوط بن يحيى الكذاب رواها عنه الإمام الطبري في تاريخه، لنقارن بينهما، على النحو التالي:

رواية أبي مخنف في الطبري لحديث سقيفة بني ساعدة	رواية البخاري لحديث سقيفة بني ساعدة
<p>1- لا يوحى عرض هذه الرواية للحدث بان الأمر كان خلاف اجتهادات بل تصوره - خاصة من جانب الأنصار - بأنه كان رغبة جامحة للحكم والاستبداد بالأمر، من منطلق فرض الأمر الواقع؛ لمجرد أن ميزان القوة يميل لصالحهم.</p>	<p>1- اجتهد الأنصار اجتهدا شرعيا وتوصلوا لنتيجة هي: أنهم الأحق بتولي الخلافة من المهاجرين، بينما اجتهد المهاجرون اجتهدا شرعيا أفادهم أن الخلافة لهم لا للأنصار، وكان لكل من الفريقين أدلته.</p>
<p>2- ما جرى بينهم بعد ذلك أقرب للعراك اللفظي الذي لا يخلو من معاندة وخصومة شديدة وألفاظ جارحة.</p>	<p>2- قام الصحابة من المهاجرين والأنصار بعملية شورى تشريعية دستورية لحسم أمر الاختلاف ومعرفة وجه الحق فيه، وصار كل منهم يدلي بدلوه عارضا أدلة رأيه بأخلاقية عالية.</p>
<p>3- بعد ان عرض أبو بكر أدلة موقف المهاجرين، رد الأنصار ممثلين بالحباب بن المنذر ردا قاسيا فيه جرح وتهديد للمهاجرين، كما أن فيه دعوة للأنصار للتماسك والتشبث بموقفهم، وبعدها قام عمر وأبو عبيدة بالرد على الحباب بموقف عملي وهو دعوتهما أبي بكر للترشح للخلافة وقال له: امدد يدك نبائعك، وعندها انهار تماسك الأنصار، وانحاز الأوس إلى المهاجرين ضد الخزرج، وتسابقوا إلى بيعة أبي بكر، نكاية في الخزرج وحسدا، وبقي الاختلاف قائما بالرغم من حسم المهاجرين الأمر لصالحهم.</p>	<p>3- بعد ان عرض أبو بكر جزءا من الأدلة، حاول الأنصار الوصول لحل توافقي مع المهاجرين من خلال عرض الحباب بن المنذر لاقتراح: منكم أمير ومنا أمير، فلما رفض المهاجرون ذلك الاقتراح، وأكمل أبو بكر عرض الأدلة التي تنقض اجتهادهم، وأثبت لهم خطأهم فيه، ومخالفتهم للنص الثابت في المسألة، سلموا له ورجعوا عن اجتهادهم وأذعنوا للنص؛ طاعة منهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو الظن بهم، وآل الأمر بينهم وبين إخوانهم من المهاجرين إلى اتفاق وإجماع على أن الأحق بالخلافة هم المهاجرون.</p>

<p>4- تكثر فيها العبارات الجارحة المهددة من قبل الأنصار وخاصة الخرج منهم (سعد بن عبادة والحباب بن المنذر) تجاه المهاجرين والأوس .</p>	<p>4- لا يوجد خلال ما جرى في السقيفة أية عبارات جارحة صدرت من الأنصار أو المهاجرين، لا من الحباب بن المنذر ولا من غيره، نعم قال بعضهم - كما روى البخاري - عندبيعة أبي بكر: قتلتم سعد بن عبادة، فرد عليه عمر: قتله الله. لكن هذا اللفظ لا يجوز حمله على ظاهره، لأن فيه طعنا بالصحابة، لذلك أوله العلماء بما يتفق مع عدالة الصحابة، فقالوا إن المقصود بقتلتكم سعد ليس حقيقة القتل، بل هو كناية عن الإعراض والخذلان، يعني أخرجتم الرجل ببيعة أبي بكر عوضا عنه، فرد عمر بأسلوب المشاكلة اللفظية مستخدما نفس لفظ المتكلم: قتله الله، يعني: إنا لم نفعل سوى تنفيذ أمر الله، فإن كان ذلك أخرجوه فهو أمر الله لا أمرنا. أو أن يكون ما قاله عمر من قبيل الدعاء عليه على عادة العرب، لا أنه أراد حقيقة القتل، وما زلنا لليوم نقول مثله في كلامنا، من مثل: يعدمني إياك، تقبرني، ومثله قوله تعالى: " قتل الإنسان ما أكفره".</p>
<p>5- دفع ضياع منصب الخلافة من سعد بن عبادة إلى ثورة غضب عارمة تملكته، فصار يتوعد الأوس والمهاجرين، كما رفض أن يبايع أبا بكر، ورفض البقاء في السقيفة وقال: احمولني من هذا المكان، واعتزل الحياة العامة وحتى العبادات الجماعية التي يقيمونها، فكان لا يصلي بصلاتهم، ولا يفيض بإفاضتهم إذا حج، حتى توفي أبو بكر.</p>	<p>5- نعم تعرض سعد بن عبادة لإحراج بعد ظهور الحق في الأمر، لكنه مع ذلك رجع عن موقفه في ترشيح نفسه للخلافة، وبايع أبا بكر، وكذا فعل الأنصار كلهم، ولم تصدر عنه أية عبارات تهديد للمهاجرين أو للأوس من الأنصار.</p>
<p>6- تشير الرواية الكاذبة إلى أن منطلق المواقف التي وقعت في سقيفة بني ساعدة كان العصبية الجاهلية ليس إلا ! وكأن كل ما دعا الإسلام إليه من إخوة الإيمان ونبذ العصبية لم يجد عندهم أذانا صاغية.</p>	<p>6- تخلو الروايات الثابتة من أي شيء يدل على أن منطلق المواقف التي حصلت هو العصبية الجاهلية، فحاشاهم رضي الله عنهم.</p>

(4) من الشبهات التي طعن بها في عدالة الصحابة شبهة: أن عمر قال عنبيعة أبي بكر الصديق أنها فلتة.

والرد على هذه الشبهة على النحو التالي:

١ - عمر ليس هو من قال ذلك، بل قاله غيره، ومناسبة هذا القول هي أن بعض الناس في عهد عمر قال: لئن مات عمر لأبايعن فلانا، وأنبيعة أبي بكر كانت فلتة. ومعنى عبارته هو أنبيعة أبي بكر الخاصة وهيبيعة الترشيح التي وقعت في

سقيفة بني ساعدة إنما جرت فلتة يعني: غير منضبطة بما نصت عليه الشريعة في مثل هذه الحالات من وجوب اختيار المسلمين للمرشح لمنصب الخلافة بالشورى، وأهل الشورى لم يكونوا كلهم حاضرين في السقيفة، حيث غاب أغلب المهاجرين، فالببيعة إذا فلتة، فإن جاز ذلك لأبي بكر جاز لغيره.

ب - سمع عمر بهذه المقولة، فأقر بأنبيعة أبي بكر كانت فلتة أي خالفت القواعد الشرعية، لكنه بين أن هذه المخالفة هي مخالفة في الظاهر فقط، أما في الحقيقة فإن ما جرى كان من قبيل الحكم الاستثنائي المشروع، لأن الظرف الذي كان فيه الصحابة كان ظرفاً استثنائياً استلزم مثل هذا الحكم الخارج عن القواعد الشرعية، فالضرورات تبيح المحظورات، بالإضافة إلى أن المرشح عندها كان أبا بكر، وهو شخصية مجمع على تقديمها على غيرها وعلى أحقيتها بالخلافة، ولا يتصور عليها اختلاف، وعليه فبيعة أبي بكر شرعية، ولا يجوز القياس عليها في الظروف العادية، ولذلك قال عمر مبيناً الظرف الاستثنائي في هذه الواقعة: " وإنا والله ما وجدنا فيمن حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم، ولم تكنبيعة أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فلما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلاً من غير مشورة المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلوا ". تغرة: يعني خشية أن يقتله الناس.

(5) الراجح عند العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص صراحة على استخلاف أبي بكر بعده، بالرغم من أنه قد حاول فعل ذلك مرتين، لكنه كان يرجع عنه، ولعل الله لم يقدر له فعل ذلك؛ حتى يتم الاختيار بالشورى لا بالنص، فلو نص عليه لانتقضت قاعدة الشورى كطريق لاختيار الحاكم في النظام السياسي الإسلامي، لكنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى استخلافه أي لمح وعرض، وأخبر إخبار غيب أن ذلك كائن، وهذا في عدة وقائع رويت عنه منها:

أ - قوله صلى الله عليه وسلم لما عجز عن الصلاة بالمسلمين: " مروا أبا بكر فليصل بالناس "، فقالت عائشة: إنه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، فكررها وعائشة تعود لقولها ، فقال: " مري أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحب يوسف ".

ب - أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: رأيت إن جئت ولم أجدك؟ - كانها تقول الموت - قال صلى الله عليه وسلم: " إن لم تجديني فأتي أبا بكر ".

ج - قال لعائشة في مرض موته: " ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك، حتى أكتب كتاباً، فإنني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه في سطور

اسمه ولقبه:

اسمه عبد الله بن عثمان، والبطن القرشي الذي ينتمي إليه هو: بني تيم.

ولقبه " الصديق " إنما سماه به النبي صلى الله عليه وسلم استجابة لأمر الله بذلك، حيث قال علي بن أبي طالب: " إن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء: الصديق " وكان علي يحلف على ذلك.

إسلامه:

يتميز إسلام أبي بكر الصديق عن غيره بأمرين:

أ - السبق: حيث إنه أول الرجال الأحرار إسلاما. فعن عثمان بن ياسر قال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه إلا خمسة أعبد وامراتان وأبوبكر ". أخرجه البخاري.

ب - الفورية وعدم التردد: فقد أسلم فور أن عرض عليه الأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي الدرداء في حديث طويل قال:فقال النبي صلى الله عليه وسلم - مخاطبا بعض الصحابة ومنهم عمر -: " إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي "، مرتين، فما أودى بعدها. أخرجه البخاري.

أزواجه وأولاده:

1 - **قتيلة بنت عبد العزى**: اختلف العلماء في إسلامها، وطلقها أبو بكر في الجاهلية، وقد زارت ابنتها أسماء في المدينة، فتوفقت أسماء في أمرها هل تبرأ أم لا؟، كونها كانت كافرة؛ فأمرها النبي بأن تبرأ، وأنجبت قتيلا لأبي بكر:

أ- عبد الله: سابق في إسلامه، صاحب الدور المعروف في الهجرة، حيث كان ينقل أخبار قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الغار مختبئا، حتى يتجنب مكائدهم، فلما وصله الخبر أن النبي وأباه قد وصلا بخير إلى المدينة حتى خرج ببقيّة أهل بيت أبيه مهاجرا إلى المدينة، جرح في غزوة الطائف، ومات **شهيدا** من جرحه ذاك في خلافة أبيه بعد 40 يوما من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يعقب.

ب - أسماء: ذات النطاقين، زوجة الزبير بن العوام، وأم الصحابي عبد الله بن الزبير، وأم التابعي الفقيه أحد فقهاء المدينة السبعة عروة بن الزبير.

2 - **أم رومان الكنانية**: وأنجبت له:

أ - عائشة أم المؤمنين.

ب - عبد الرحمن: تأخر في إسلامه وقاتل المسلمين في بدر وأسر فيها، وفي أحد، وأسلم في هدنة صلح الحديبية، كان معظما مهابا بين المسلمين، شارك في حروب الردة في اليمامة وقتل يومها سبعة، منهم محكم بن الطفيل ساعد مسيلمة الكذاب الأيمن، شهد فتح الشام، ولما جاءت بيعة يزيد بن معاوية إلى المدينة، رفض البيعة، وقال لمروان بن الحكم: جعلتموها والله هرقلوية وكسروية، وخرج إلى مكة وما لبث أن توفاه الله. وأنجب عبد الرحمن: محمد وهو جد نفيسة التي تزوجها الوليد بن عبد الملك الخليفة المرواني، كما أنجب عبد الرحمن أيضا: أسماء التي تزوجها ابن عمها قاسم بن محمد وأنجبا: أم فروة التي تزوجها محمد الباقر وأنجبا: جعفر الصادق، الذي كان يقول: ولدني أبو بكر مرتين.

3 - أسماء بنت عميس الخثعمية: وكان قد تزوجها قبله جعفر بن أبي طالب وأنجب منها، فلما استشهد جعفر، تزوجها أبو بكر وأنجب منها ابنه محمد، ولما مرضت فاطمة أرسلها أبو بكر لتمرضها، وهي التي غسلتها وكفنتها لما ماتت، وبعد وفاة أبي بكر تزوجها علي بن أبي طالب وأنجب منها، وقام علي بتربية محمد بن أبي بكر ابنها في بيته، وكان محمد من شيعته، وولاه مصر واستشهد في أحداث الفتنة فيها، وأنجب محمد: عبد الله، كما أنجب: القاسم وهو أحد فقهاء المدينة السبعة.

4 - حبيبة بنت خارجة: وهي ابنة خارجة الأنصاري أخيه من الأنصار، وأنجب منها: أم كلثوم، وقد كانت أم كلثوم في بطن أمها لما مات أبو بكر، وتزوجها الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله، وأنجبا: زكريا، وعائشة، وعائشة هذه تزوجها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وأنجب منها أبناءه الخلفاء.

من فضائله:

1 - جاء في الحديث: "من انفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب، يا عبد الله هذا خير". يعني تدعوه ملائكة كل باب من أبواب الجنة بحسب العمل الصالح الذي غلب عليه، فقال أبو بكر: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: " نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر ". وما ذاك إلا لأنه سابق في الأعمال الصالحة كلها.

2 - رجف أحد يوما وكان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان، فقال النبي: " اثبت أحد، فإنما عليك نبي، وصديق وشهيدان ".

3 - سأل عمرو بن العاص النبي صلى الله عليه وسلم يوما: أي الناس أحب إليك؟ فقال له: " عائشة "، فقال عمرو: من الرجال؟، فقال له: " أبوها "، فقال عمرو: ثم من؟ فقال له: " ثم عمر بن الخطاب ".

شجاعته ودفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال عبد الله بن عمرو رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه فخنقه بها خنقا شديدا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه صلى الله عليه وسلم، وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم.

علمه:

عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال: " إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله"، فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر ".

ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم:

لم يكن أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ملازمة له من أبي بكر، فهو صاحبه في الجاهلية والإسلام، وهو ملازمه وصاحبه في هجرته وفي كل موقف حاسم من حياته، وقد صور الله هذه الملازمة بقوله: "ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا".

من خصوصيات أبي بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم بخلاف ما مر:

= أول من آمن به من غير تردد.

= أكثر من ساندته في دعوته بنفسه وماله، فقد كان له من المال 40 ألف ردهم يوم بعث النبي صلى الله عليه وسلم، فأنفق منها 35 ألفا في سبيل الله، وأخذ معه يوم هاجر الباقي منها وهو 5 آلاف درهم، لينفقها على أمر الدعوة أيضا ولم يبق لأهله شيئا، ويوم تبوك جاء بكل ماله ووضع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتجهيز جيش المسلمين، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟ فيقول: أبقيت لهم الله ورسوله.

= أخلاقه كأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، فقد وصف شيخ القارة أخلاقه بمثل ما وصفت خديجة أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: "إن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك امرؤ تصل الرحم، وتكسب المعدوم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر".

= كان يبدأ به النبي صلى الله عليه وسلم إذا شاور الصحابة، ويميل دائما إلى رأي الفريق الذين فيهم أبو بكر.

= الوحيد من الصحابة الذي أفتى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاز النبي فتواه وأمضاها.

= تكلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية رادا على عروة بن مسعود وأقر النبي صلى الله عليه وسلم كلامه.

= أكثر الصحابة علما، وقد ظهر ذلك في مواطن عديدة منها: علمه باقتراب وفاة النبي من حديثه كما سلف قريبا، وتأمير النبي له على بعثة الحج سنة 9هـ، ومعلوم أن فقه الحج فقه صعب، يحتاج إلى فقيه متمرس، وكتبه إلى ولاته في أحكام الزكاة التي شكلت عمدة للعلماء بعد ذلك في فقه الزكاة، وإفتاؤه في كثير من القضايا التي لم تجد جوابا لها عند غيره من الصحابة، من مثل إفتائه بعدم جواز وراثة أقارب النبي صلى الله عليه وسلم لأمواله، وقوله لعلي وفاطمة عندما جاءا يطلبان ميراثهما من رسول الله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة"، ومثل فتواه في أين يدفن رسول الله؟، حيث قال للصحابة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لم يقبر نبي إلا حيث يموت"، فدفنوه حيث مات في حجرة السيدة عائشة، وكذا إفتاؤه للأنصار في سقيفة بني ساعدة بأن المهاجرين هم الأمراء، مذكرا إياهم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "قريش ولالة الأمر".

= إيمانه الراسخ بكل ما يقوله ويفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله في ذلك مواقف مشهودة من مثل: تصديقه في حادثتي الإسراء والمعراج من غير تردد، يوم أن شك الآخرون، وردة على عمر بن الخطاب يوم أن جاءه غاضبا معترضا على بنود صلح الحديبية، يقول له عمر: ألسنا على حق وهم على باطل؟ فيرد عليه أبو بكر: بلى، فيقول عمر: أليس قتلنا في الجنة وقتلناهم في النار؟ فيرد عليه: بلى، فيقول عمر: فعلام نعطي الدنيا في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟، فيقول له: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا. وأيضا إنفاذه لبعث أسامة وسيأتي قريبا.

= كان لا يفشي لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرا، وقال: ما كنت لأفشي سر رسول الله.

= دفن رضي الله عنه بجانب النبي صلى الله عليه وسلم.

= كان سنه يوم توفي نفس سن النبي صلى الله عليه وسلم يوم وفاته 63 سنة.

مرضه ووفاته:

قال ابن كثير: "كانت وفاة الصديق في يوم الاثنين عشية، وقيل: بعد المغرب، ودفن من ليلته، وذلك من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، بعد مرض دام خمسة عشر يوماً، وكان عمر يصلي عنه فيها بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان، وقرأ على المسلمين، فأقروا به وسمعوا وأطاعوا، فكانت خلافة الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وكان عمره يوم توفي ثلاثاً وستين سنة، للسن الذي توفي فيه رسول الله، وقد جمع بينهما في التربة كما جمع بينهما في الحياة، فرضى الله عنه وأرضاه".

وعندما جاءت سكرات الموت أنشدت عائشة بيتاً من الشعر فقال لها: هلا قلت: "وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد".

وقيل له: ألا نحضر لك الطبيب؟، فقال: قد رأي الطبيب، وقال: إني فعال لما أريد.

وصيته رضي الله عنه:

1 - أن يكفن بثوبيه بعد غسلهما، ف قيل له: لقد رزق الله وأحسن نكفك في جديد، قال: إن الحي أحوج إلى الجديد؛ ليصون به نفسه من الميت، إنما يصير الميت إلى الصديق وإلى البلى.

2 - أن تغسله زوجته أسماء بن عميس، وأن يدفن بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3 - أن يتصدق بخمس ما يملك من أرض العالية.

4 - قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي وابرأوا منه، فإني قد كنت أستحله **ةاستصلحه جهدي**. فأخذ عمر هذا المال ورده إلى بيت المال، وقال: يرحم الله أبا بكر لقد اتعب من بعده.

5 - قال: إن عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وإن حائطي الذي بمكان كذا وكذا فيها. أما هذا المال الذي هو راتبه الذي أخذه مدة خلافته فلم يقبل عمر أن يرجعه لبيت المال بل تركه لورثته.

أهم الأحداث في خلافة أبي بكر الصديق

(1) إرسال جيش أسامة الذي جهزه النبي صلى الله عليه وسلم لغزو الروم في الشام، لكنه توفي قبل خروجه، فقرر أبو بكر إرساله، لكن الصحابة كلموه ألا يفعل؛ خوفا على المدينة واهلها من المرتدين المتربصين حولها، فأصر رضي الله عنه على إرساله، وقال: "والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله، ولو أن الطير تخطفنا، والسباعولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين، لأجهزن جيش أسامة"، فلما خرج الجيش أربع خروجه المرتدين حول المدينة، فامتنعوا عن مهاجمتها لفترة من الزمن، وكانوا يقولون: "ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة".

(2) قتال صنفين من الناس:

أ - المرتدين: وهم الذين أظهروا الكفر البواح تاركين الإسلام بالكلية، أو متبعين أناسا ادعوا النبوة، وهذا الصنف لا خلاف بين الصحابة في أنهم يستحقون أن يقاتلوا، ولكن فريقا من الصحابة كلم أبا بكر ليؤجل قتالهم؛ خوفا على أمن المدينة واهلها، فرفض رضي الله عنه، ثم وافقه الصحابة فال الأمر إلى الإجماع على قتالهم بعد الاختلاف.

ب - مانعي إخراج الزكاة: لشبهة حصلت عندهم أن الزكاة ينحصر إعطاؤها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، لقوله تعالى: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها"، وقد مات عليه السلام فسقط وجوبها عليهم إذا بموته، وهؤلاء الصنف هم الذين حصل الخلاف بين الصحابة في قتالهم، فذهب الصديق إلى وجوب قتالهم بعد إقامة الحجة عليهم قياسا على وجوب قتال من امتنع عن إقامة شعيرة الصلاة، لأن كليهما شعيرتان من شعائر الإسلام الظاهرة، التي إن منعها قوم قوتلوا حتى يؤدوها، واعترض على ذلك فريق منهم عمر الذي رأى أن على أبي بكر ألا يقاتلهم، وأن عليه أن يتألفهم ويصبر عليهم حتى يادوا الزكاة في نهاية الأمر، و تكلم عمر بلسان هذا الفريق وقال لأبي بكر: "كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وإن محمدا رسول الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها؟". فرد عليه أبو بكر: والله لو منعوني عناقا (السخلة الصغيرة) وفي رواية: عقالا (الحبل الذي يجر به الجمل) كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. يقول عمر: فما هو إلا رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت انه الحق. اهـ ومعنى عبارة عمر هذه أن الأمر آل بين الصحابة إلى الإجماع على قتال مانعي الزكاة أيضا، بعد الاختلاف.

وعليه فلا يلتفت إلى قول أعداء الإسلام من المستشرقين من أن الصحابة كانوا مختلفين حول قتال المرتدين ومانعي الزكاة؛ لأنه تبين لنا من العرض السالف أنه لا اختلاف في قتال المرتدين، بل الاختلاف في توقيت القتال، أما قتال مانعي الزكاة ففيه اختلاف، لكن الاختلاف في الحالتين إنما حصل في مرحلة الشورى التشريعية قبل اتخاذ القرار، وهو أمر طبيعي، وقد كان القرار بعد الشورى الإجماع والاتفاق على قتال المرتدين ومانعي الزكاة.

كيفية قتال أبي بكر للمرتدين ومانعي الزكاة:

1 - بالتزامن مع بعث جيش أسامة نحو الشام يأمر أبو بكر قواتا من الصحابة أن تحرس أطراف المدينة، وبعد فترة من الهدوء لم تطل تقوم القبائل المحيطة بالمدينة - كغزارة وغطفان وعيس وذبيان - بالتوجه لغزو المدينة، فتتصدى لهم قوات الحراسة، فيفرون إلى منطقة ذي القصة شرق المدينة ومنها إلى منطقة أبعد هي الأبرق.

2 - في هذه الأثناء يعود جيش أسامة من الشام منتصرا بعد أربعين يوما من الغياب، فيأمرهم أبو بكر بالراحة، ثم يخرج هو ومن كفهم بحراسة المدينة نحو ذي القصة متتبعا المرتدين، ومنها إلى الربذة بالأبرق ويقاتل فيها القبائل المرتدة الفارة، فيهزمهم في موقعة الأبرق ويشنت جمعهم.

3 - يقوم أبو بكر بتقسيم الجيش الإسلامي إلى ألوية على كل لواء منها قائد، ويوجهها لقتال المرتدين ومانعي الزكاة في أنحاء الجزيرة كلها، ويكتب كتابا يبعثه مع هذه الألوية ليقروا على أهل جزيرة العرب، ثم يرجع هو إلى المدينة.

ألوية الجيوش التي عقدها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لحرب المرتدين				
م	أمير اللواء الإسلامي	وجهة الجيش	قادة المرتدين	اتجاه سير الجيش
الأول	خالد بن سعيد بن العاص	مشارف بلاد الشام	—	
الثاني	عمرو بن العاص	دومة الجندل	مجموعة من قبائل قضاة ووديعة والحارث	
الثالث	خالد بن الوليد بن المغيرة	بزاخه . البطاح . اليمامة	طلحة الأسدي . مالك بن نويرة مسيلة الكذاب	
الرابع	العلاء بن الحضرمي	البحرين (جواثا) - دارين	المغرور (المنذر بن النعمان بن المنذر)	
الخامس	عكرمة بن أبي جهل	اليمامة	مسيلة الكذاب	
السادس	شرحبيل بن حسنة	اليمامة . حضرموت	مسيلة الكذاب	
السابع	حذيفة بن محصن	دبا من أرض عمان	ذو الناج :لقيط بن مالك	
الثامن	عرفجة بن هرثمة البارقي	مهرة . حضرموت	الأمير المصبح	
التاسع	طريفة بن حاجز	شرق الحجاز	إياس بن عبد الله بن عبد ياليل	
العاشر	المهاجر بن أبي أمية	اليمن - كندة . حضرموت	الأسود العنسي - الأشعث بن قيس قيس بن مكشوح	
الحادي عشر	سويد بن مقرن المزني	تهامة اليمن	—	

4 - تحليل للكتاب أو الرسالة التي بعثها أبو بكر الصديق إلى قادة حروب الردة ليلغوها لأهل جزيرة العرب

١ - الرسالة وجهها أبو بكر إلى الناس في جزيرة العرب كافة؛ العامة منهم والخاصة، والمسلم الذي ثبت على دينه، والكافر المرتد عن الإسلام، ولذلك أمر قادته في آخرها بأن يقرءوها على الناس كافة.

ب - لكنه في أول الكتاب **يسلم فقط على المسلم** الذي ثبت على دينه، حيث يقول: (سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والهوى)، وامتناعه عن السلام على المرتدين هنا بحد ذاته **تهديد لهم وإنذار** لهم بما هو عازم على فعله معهم، كأنه يقول لهم: أما انتم فلا سلام ولا أمان لكم عندي.

ج - **من ارتد عن دينه كافر نستحل قتاله**: (ونكفر من أبى ذلك ونجالده)، (وضرب رسول الله من أدبر عنه، حتى صار الإسلام طوعا أو كرها).

د - **معالجة عقائدية لأكبر أسباب الردة، وهو: كيف يموت محمد وهو نبي؟**، فتراه يركز في الكتاب على تأكيد وفاة محمد صلى الله عليه وسلم ويأتي بأدلة من القرآن: تخبر بوفاته، كما تخبر بأنه ليس خالدا بل هو بشر يموت كباقى البشر والأنبياء من قبله، وتحذر من الردة بعد موته، وأن المرتد هو الخاسر ولن يضر إلا نفسه، أما الثابت على دينه فهو الفائز: " إنك ميت وإنهم ميتون "، " وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون "، " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ".

هـ - **تقرير وتذكير أن المعبود هو الله سبحانه وتعالى وهو حي لا يموت**، وليس محمدا صلى الله عليه وسلم الذي يموت ويغيب: (فمن كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت).

و - **تذكير بالسنة الإلهية الكونية التي تقرر: أن الله حافظ لدينه، منتقم من أعدائه**، وأن من كان على غير هدى الله فهو ضال مخذول، لن يقبل الله منه عملا في الدنيا، كما لن يقبل منه فداء من العذاب في الآخرة.

ز - **من ارتد إنما فعل ذلك**:

- اغترارا بحلم الله عليه.
- جهلا.
- إجابة للشيطان الذي هو عدوه وعدو للبشر كلهم، ومن قبل عدو لأبيهم آدم عليه السلام.
- ح - ثم شرع بعد ذلك في الكشف عن **سياسة الدولة الإسلامية في التعامل مع المرتدين ومانعي الزكاة** على النحو التالي:

- لا يقبل منهم إلا الإيمان بالله.
- لا يقاتل قاداته أحدا منهم حتى يدعوه إلى الله.
- من رجع عن الردة أو عن منع الزكاة، قبل منه رجوعه، أما من أبى عومل معاملة الكافر المحارب، وأخذ كل أحكامه.
- العلامة التي يعرف بها جند الإسلام أن أهل المكان مسلمين أم لا هي: إقامة مشعر الأذان، فإن أذنوا كف عنهم، وإن لم يؤذنوا قوتلوا.

ط - **ورد في الكتاب عبارة: " وان يحرقهم بالنار وأن يقتلهم كل قتله "**، وهنا لا يحمل التحريق بالنار على إحراقهم كأفراد بعد أسرهم مثلا؛ لأن النصوص الصحيحة قد وردت بالنهاي عن ذلك، ولكن ينبغي فهمه بمعنى لا يعارض هذه النصوص الصريحة، وهو أن يحمل على ضرب حصونهم أثناء القتال بنار المنجنيق إن تحصنوا وامتنعوا بها.

5 - **مواقف من حروب المرتدين ومانعي الزكاة**:

- ١ - ارتد ناس من أهل اليمن قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بتأثير **عبهلة أو الأسود العنسي** الذي ادعى النبوة، واستطاع الاستيلاء على اليمن بمعونة 700 رجل من أتباعه. لكن **زوجته كانت صالحة مؤمنة** سهلت أمر قتله وقطع رأسه وهو نائم على يد رجل صالح من أهل اليمن هو **فيروز الديلمي**، وألقى رأسه لأتباعه قائلا: (أشهد ان محمدا رسول الله، وان عبهلة كذاب)، ففروا وقتلوا وأسروا، ورجعت اليمن إلى حياض الإسلام.

ب - ارتد **طلحة الأسدي** قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وادعى النبوة، وأزره **عبيدة بن حصن الفزاري** وقومه، وقال: (والله لنبي من بني أسد أحب إلي من نبي من بني هاشم)، فقاتلهم خالد بن الوليد وهزمهم، وفر طلحة بزوجه إلى الشام، ثم رجع مسلماً، لكنه خجل من مواجهة أبي بكر، وصلاح إسلامه وشارك في الفتوح، وكتب الصديق لخالد: (استنشر طلحة في الحرب ولا تؤمره).

ج - بعد هزيمتهم من خالد قدم **وفد أسد و غطفان** يطلبون الصلح من أبي بكر، فصالحهم على أن ينزع سلاحهم مدة حتى يرى منهم صدقاً في التوبة، وعلى أن يشهدوا أن قتلهم في النار وقتلى المسلمين في الجنة. وقد سمى الصديق صلحهم هذا **بالحطة المخزية**.

د - كانت **بنو تميم** قبل أن تأتيهم **سجاح التغلبية مدعية النبوة** على أربعة آراء: منهم من ارتد، ومنهم من منع الزكاة، ومنهم من بقي مسلماً، ومنهم متردد، فاستجاب لها أكثرهم، وقد كانت سجاح جاسوسة الدولة الفارسية ويدها التي دعمت بها المرتدين في مناطق شرق الجزيرة وخاصة البحرين (منطقة الإحساء اليوم)، وأرادت سجاح أن تغزو المدينة، فثناها عن ذلك **مالك بن نويرة** ونصحها بالتوجه إلى مسيلمة الكذاب مدعي النبوة في اليمامة لتغزوه وتستولي على جيشه وأمواله فتتقوى بهما على غزو المدينة، فتوجهت إليه لكنه عرض الصلح ولها نصف الأرض، فأجابته ثم عرض عليها الزواج والحلف فوافقت وتزوجته، ثم لما سمعت بمقدم خالد لقتالها هربت ورجعت إلى قومها، وقيل أسلمت.

هـ - أما **بنو حنيفة** في اليمامة فقد ارتدوا قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على يد **مسيلمة الكذاب** الذي ادعى النبوة، وحشد لقتال المسلمين 40000 رجل، فبعث إليه أبو بكر أولاً: **عكرمة بن أبي جهل، فانهزم، ثم استعجل شرحبيل بن حسنة** قتالهم، فانهزم أيضاً، ثم بعث أبو بكر خالد بن الوليد مدداً لهم وقائداً، فاعاد تنظيم الجيش وقاتل بني حنيفة قتالاً شديداً، صبر فيه المسلمون وانتصروا، وكان للمسلمين في تلك المعركة وقفات، منها:

= شق خالد صف بني حنيفة أول المعركة ورجع إلى مكانه، ودعا إلى المبارزة وكان يقتل كل من يبارزه.

= انهزم المسلمون في أول المعركة، وانسحب جيشهم، حتى أن بني حنيفة وصلوا إلى خيمة خالد ومزقوها بسيوفهم، وكادوا أن يقتلوا زوجته.

= تلاوم المسلمون عن سبب الانهيار والتراجع، فطلب خالد أن تتميز صفوف الجيش بين مهاجرين وأنصار وأعراب؛ حتى يعرف من أين يأتي الخلل، فحمي الناس، وتغير مسار المعركة.

= **حفر ثابت بن قيس** في الأرض ودفن نفسه لانصاف ساقيه حتى لا يتراجع أثناء القتال، واستشهد في مكانه.

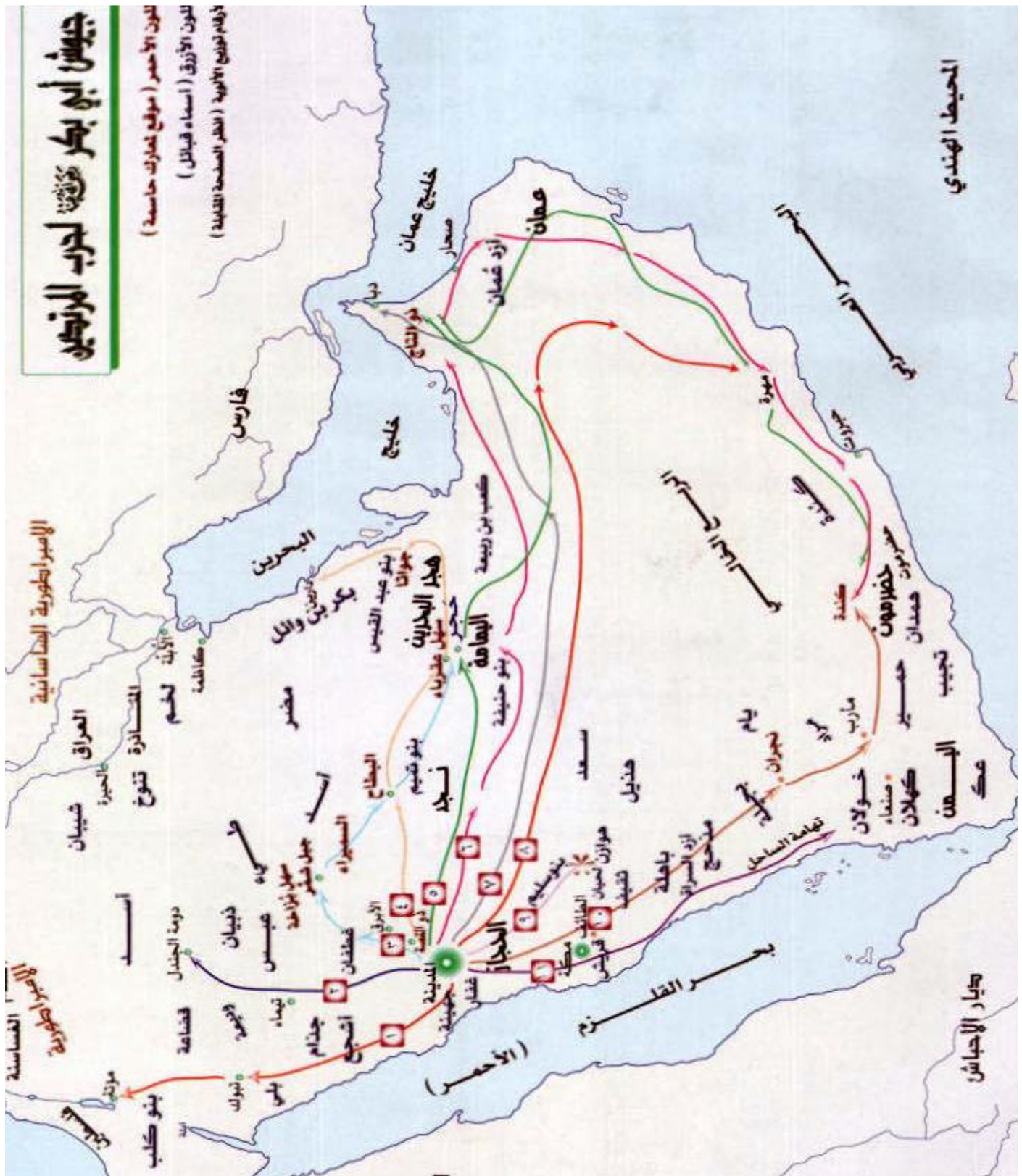
= قال بعض المهاجرين **لسالم مولى أبي حذيفة** أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: (بنس حامل القرآن أنا إذن).

= لما تراجع بنو حنيفة واحتموا بالحديقة وتحصنوا بها، طلب **البراء بن مالك** أن يضعه رفاقه على ترس كبير ثم يرفعوه بأسنة رماحهم فيلقون به من فوق سور حديقة الموت؛ ليفتح لهم الباب، ففعلوا ونجح، ودخل المسلمون وأعملوا فيهم السيف فانهزموا، وقتل **وحشي بن حرب** برمح مسيلمة الكذاب، وانتهت بذلك فتنته.

= بلغ قتلى بني حنيفة 10000 وشهداء المسلمين 600، وكان من سبي بني حنيفة جارية تسرى بها علي بن أبي طالب وانجب منها ابنه **محمد بن الحنفية**.

و - عندما ارتد أهل جزيرة العرب لم يثبت على الإسلام سوى أربعة أماكن هي: المدينة، ومكة، والطائف وقرية في البحرين (وهي تسمى بالإحساء اليوم) اسمها **جواناء**، وقد كان الفضل في ثبات جواناء على الإسلام بعد أن شكت إلى رجل واحد هو **الجارود بن المعلی**، الذي خاطب قومه قائلاً: يا معشر عبد القيسأتعلمون أنه كان أنبياء قبل محمد؟ قالوا: نعم، قال: فما فعلوا، قالوا: ماتوا، قال: فإن محمداً مات كما ماتوا، وتلا عليهم الشهادتين، فأفاقوا من غفلتهم وزالت عنهم الشبهة وثبتوا على إسلامهم، ولما علمت مناطق البحرين الأخرى من حولهم بثباتهم على إسلامهم، بعثوا إليهم

الجيش وحاصروهم، فأرسل أهل جوائء إلى أبي بكر يستغيثون، فأرسل إليهم جيشا على رأسه **أبو العلاء الحضرمي**، وانضم إليه ثمانية بن آثال، فلما نزل الجيشان كل في مقابلة الآخر، شك العلاء بأن أمرا مربيا يحدث في جيش المرتدين، فبعث عينا له، فوجدهم سكارى، فأخبر العلاء الذي انقضض عليه وقتلهم وقتل من هرب منهم، وفك الحصار عن جوائء.



نظرا لقصر عهد أبي بكر الصديق وانشغاله فيه بحروب الردة في أوله، فإنه لم يكن له إسهام كبير في الفتوح الإسلامية كما كان لغيره من الخلفاء الراشدين بعده، لكنه مع ذلك يحسب له فضيلة البدء فيها، فكان انطلاق الجيوش الإسلامية نحو دولتي الفرس والروم بأمره وتدبيره، وذلك ردا على اعتداء الدولتين الذي بدأ بقتل بعض رسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، واستمر هذا الكيد في عهد أبي بكر، وقد مر معنا دور الفرس مثلا في تحريض سجاح التغلبية على نشر الردة عن الإسلام بين أهل الجزيرة العربية..

١ - **البدء بإطلاق الجيوش لفتح العراق**: بعد أن شارفت حروب الردة على الانتهاء اتجه القائد المسلم المثنى بن حارثة الشيباني - الذي كانت قبيلته تنتشر في جنوب الدولة الفارسية - إلى المدينة، وقابل الخليفة أبا بكر الصديق، وطلب منه الإذن في أن يبدأ بمناوشات قتالية مع الدولة الفارسية، وقال له: (أمرني على من قبلي من قومي، أقاتل من يأتيني من أهل فارس، وأكفيك ناحيتي)، فاستجاب له أبو بكر، وبعد نهاية حروب الردة انضم المثنى بأمر من أبي بكر إلى جيش الفتح المكلف بقيادة خالد بن الوليد بالتوجه إلى بلاد العراق لفتحها ونشر الإسلام فيها، وبلغ تعداد هذا الجيش لما اكتمل 18000 رجل ليس فيهم رجل مرتد، لأن **سياسة أبي بكر كانت تقضي بعدم الاستعانة بمن سبق له أن ارتد؛ لعدم الثقة بهم**، وكان الفوج الفارسي القوي في الجنوب بقيادة القائد **هرمز**، وهو فوج مكلف بقتال بلاد العرب براء، وبلاد الهند بحرا، وكان هذا الفوج هو هدف الجيش الإسلامي الأول في العراق، ولذلك بعث خالد برسالة إلى هرمز يقول له فيه: (أما بعد فاسلم تسلم واعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر بالجزية، وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتكم يقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة)، توجه خالد أولا بجيشه نحو منطقة الحفير، فجمع له هرمز فيها جمعا كثيرا، فلما علم خالد بوجود هرمز في الحفير غير وجهته متوجها جنوبا نحو **كاظمة**؛ لتكون مكان المعركة الأولى لهذا الجيش مع فوج هرمز، وهي منطقة تقع اليوم في **دولة الكويت**، وقام هرمز بدوره بالتوجه نحو كاظمة لملاقاة خالد فيها، وقد كان من عادة الفرس أنهم يربطون جنودهم بالسلاسل الحديدية حتى لا يستطيعوا الفرار من أرض المعركة، ولذلك سميت هذه **المعركة بذات السلاسل**، وبدأت المعركة بمبارزة بين خالد وهرمز فكانت الغلبة لخالد لكن حامية فارسية تقدمت لانقاذ هرمز فشده عليهم القعقاع فقتلهم، فكانت بداية انهزام الفرس، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل، وغنم المسلمون أمتعتهم وسلاحهم وسلاسلهم.

وبعد عدة انتصارات لخالد في العراق، وبعد ان وصلت أخبارها للخليفة أبي بكر قال أبو بكر كلمته المشهورة الخالدة: (عجزت النساء ان يلدن مثل خالد).

اتخذ خالد **الحيرة** بعد أن فتحها مقرا لقيادته العسكرية، وتميز المسلمون بسرعتهم في اتخاذ قراراتهم العسكرية وفي حركتهم لتنفيذها، في مقابل تباطؤ الفرس ومن مالأهم من نصارى العرب، كما تميز المسلمون بالخداع والتمويه، ومباغثة أعدائهم ومفاجأتهم وهم على غير استعداد للقتال، وكذا تميزوا بالحزم في القضاء على القوة المقاتلة بعد الانتصار وعدم استبقاء أسرى من المقاتلة المحاربين، كما استجابوا للمناطق التي قبلت الصلح وتركت القتال، فعاهدوها وأوفوا لها، وأخذوا من أهلها الجزية.



ب - **البدء بإطلاق الجيوش لفتح الشام:** استنهض أبو بكر ههم المسلمين بعد أن وجه خالد إلى العراق لفتحه، لينفروا إلى فتح الشام أيضاً، وكان من ذلك أنه بعث للقائد المسلم عمرو بن العاص برسالة يقول له فيها: (قد أحببت أبا عبد الله أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه إلا أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك)، فرد عليه عمرو بن العاص: (إني سهم من سهام الإسلام، وأنت عبد الله الرامي والجامع لها، فانظر أشدها وأخشأها، فارم بي فيها).

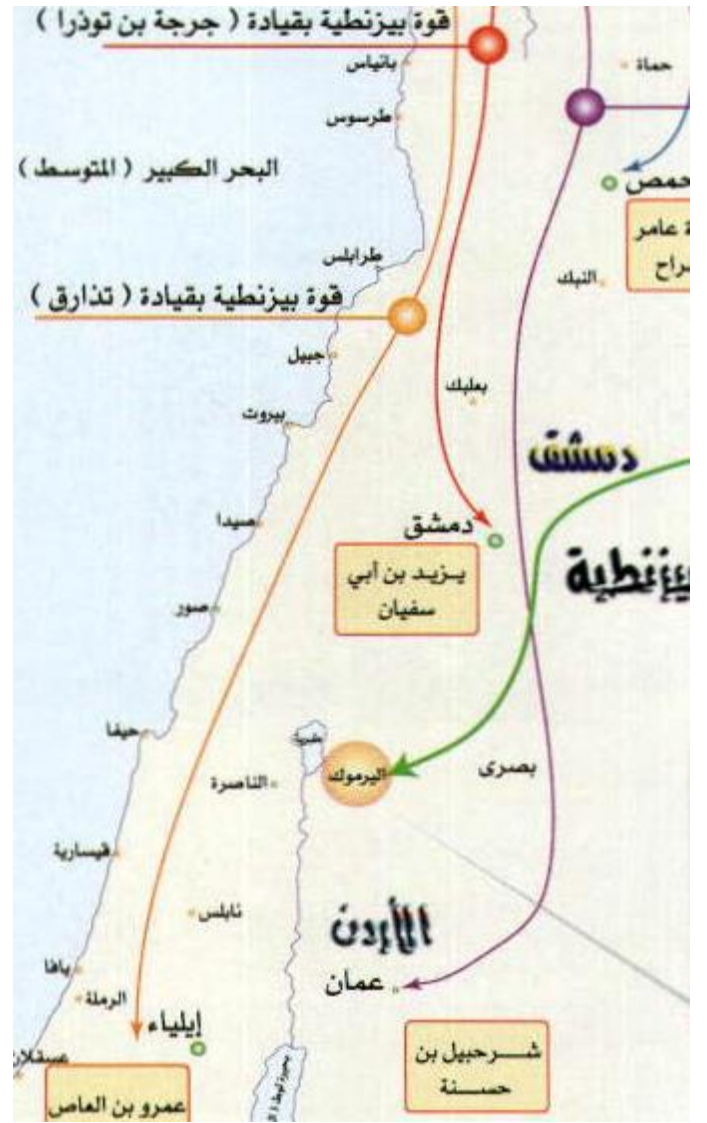
بدأ أبو بكر بعقد الالوية وتولية أمراء جند فتح الشام على النحو التالي:
 أ- يزيد بن أبي سفيان، ومعه أكثر الجند على جند دمشق.
 ب - أبو عبيدة عامر بن الجراح على جند حمص.

ج - شرحبيل بن حسنة على جند الأردن.
 د - عمرو بن العاص على جند فلسطين.

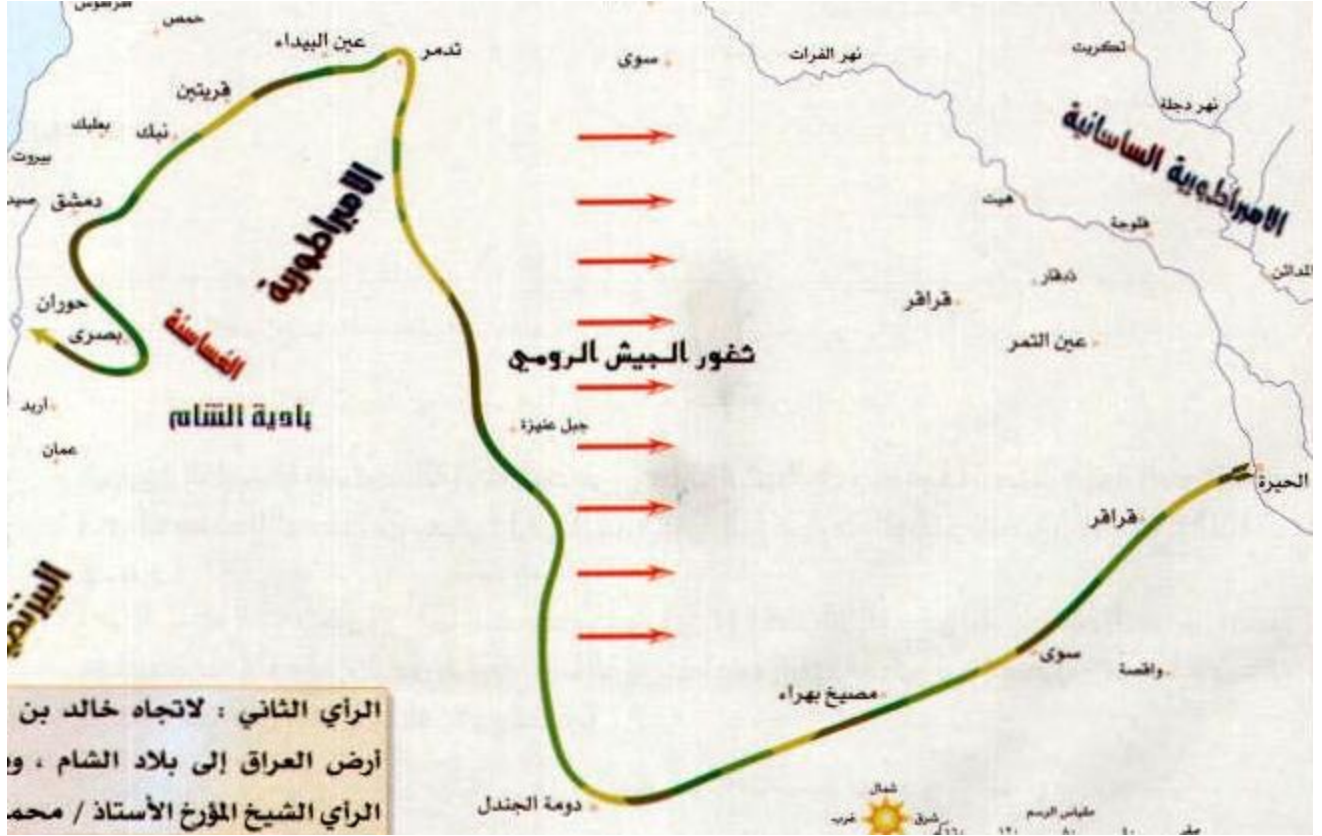


بعد

أن دخلت جيوش الفتح الشام وانتشرت في مناطقها المعينة لها، وضع الروم خطة لمواجهة فجمعوا قواتهم في جيشين جيش يواجه المسلمين في دمشق وحمص وبعليك أي من جهة الشمال، وجيش يتحرك بمحاذاة الساحل ليوافه عمرو بن العاص في فلسطين، وبعد أن يتغلب على عمرو بن العاص يلتف شرقاً ليهاجم الجيوش المسلمة الأخرى من الجنوب فتصبح جيوش المسلمين بين فكي كمانشة وتتقطع خطوط إمدادها القادمة من المدينة ويسهل تدميرها.



لكن قادة المسلمين تفتنوا لذلك فأرسلوا إلى الخليفة أبي بكر يطلبون المدد بالرجال، فكتب إليهم: (اجتمعوا وكونوا جندا واحدا، ولن يؤتى مثلكم من قلة، ولكن من تلقاء الذنوب فاحترسوا منها)، ثم كتب إلى خالد يأمره أن يتوجه إلى الشام وأن يتولى قيادة الجيوش هناك، وقال: (والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد)، استخلف خالد على جيوش العراق المثنى بن الحارثة، وانطلق بالمدد (10000 مجاهد تقريبا)، نحو الشام قاطعا الصحراء بين العراق والشام متجنباً منطقة ثغور دولة الروم، واختار طريقاً لم يسلكه أحد قبله لخطورته، واتخذ دليلاً هو نافع بن عميرة الطائي، ونفذ الماء منهم فنحروا الإبل وسقوا ما في أجوافها للخيول، وقد قيل لخالد: إن أنت أصبحت عند الشجرة الفلانية في يوم كذا نجوت، وإلا هلكت، فأصبح عندها فقال: (عند الصباح يحمد القوم السرى)، فصارت مثلاً، والسرى هو السير ليلاً.



وبعد صولات وجولات للجيوش الإسلامية في بلاد الشام وانتصارات باهرة بقيادة خالد بن الوليد اضطر بسببها هرقل إلى الانسحاب من مقر قيادته في حمص إلى أنطاكية شمالاً، وأيضاً حصار المسلمين لدمشق، وفشل جيش الروم في هزيمة عمرو بن العاص في فلسطين، قرر هرقل إرسال جيوشه للقاء المسلمين في منطقة اليرموك في معركة حاسمة، وقد حشد لها هرقل تحالفاً صليبياً من 200000 مقاتل في خمسة جيوش على كل جيش قائد، من سلاف وروس وأرمن وجورجيين ويونان وفرنجة ونصارى عرب، وأوكل قيادة هذه الجيوش كلها إلى **هامان ملك أرمينيا**، كما حشد لها المسلمون 36000 ألف مجاهد في 36 كردوس (كتيبة خيالة)، في كل كردوس ألف مقاتل، منهم 1000 صحابي، وفيهم 100 بدري، وكان عمر قد أوكل - بعد توليه حكم المسلمين لوفاة أبي بكر - القيادة إلى أبي عبيدة، لكن أبا عبيدة في هذه المعركة تنازل لخالد بن الوليد عن القيادة بطيب خاطر.

وقد جرت في هذه المعركة مواقف أدت إلى ارتفاع معنويات الجيش المسلم وانخفاض معنويات الجيش الرومي :

= وصف أحد الجواسيس العرب النصارى جيش المسلمين لقادته قائلاً: (وجدت قوما رهباناً بالليل، فرساناً بالنهار، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه، أو زنى لرجموه)، فقال له قائد الروم وقد أخافه هذا الوصف: (والله لئن كنت صادقاً لبطن الأرض خير من ظهرها).

= قال رجل من نصارى العرب لخالد يريد أن يعيث بمعنوياته: (ما أكثر الروم وأقل المسلمين)، فرد عليه خالد وقد فطن لما يريد: (ويلك أتخوفني بالروم؟، إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان، والله لوددت أن الأشقر براً من وجعه، وأنهم أضعفوا العدد).

= طلب هامان مقابلة خالد وحاول أن يقنعه بالرجوع عن بلاد الشام بأسلوب يحمل الإهانة والاستخفاف بالمسلمين حيث قال: (إنا قد علمنا إن الذي أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع، فاهلموا إلي أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً، وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان العام المقبل بعثنا لكم بمثلها)، فقال له خالد مرهباً له ومستهنئاً به: (إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه قد بلغنا أن لا دم أطيب من دم الروم، فجننا لذلك).

= أما الطامة الكبرى على معنويات جيوش الروم فهو أن أحد قادة هذه الجيوش واسمه غريغوري قد أسلم قبل المعركة، وانحاز للمسلمين وقاتل معهم.

كيف سارت المعركة: بدأت بالمبارزة بين أبطال الجيشين في

الصباح واشتد هجوم الروم على المسلمين حتى ليكاد المسلمون يتركوا أماكنهم، فتجلت مع هذه الشدة بطولات المسلمين، حيث عاودت قيادة جيش المسلمين الهجوم على قلب الجيش الرومي، وكان الظلام قد اعتكر، وانقض خالد وجنده على مقدمة فرسان الروم ومشاتهم، وكانوا جنود جبله بن الأيهم، وأعملوا فيهم الطعن والقتل حتى قتلوا منهم مجموعة كثيرة، وكان القتال سجلاً بين الفريقين، ولكن الجيش الرومي كان أكثر تضعفاً وتعباً، حتى انتهوا إلى مكان مشرف على هاوية تحتهم، فأخذوا يتساقطون فيها ولا يبصرون ما تحت أرجلهم، وكان آخرهم لا يعلم ما يلقي أولهم، وبلغ الساقطون في هذه الهاوية عشرات الألوف، وقيل إن الذين قتلوا في ذلك اليوم يزيدون على مئة ألف جندي من الروم. وقُتل (تذارق) أخو هرقل قيصر الروم كما قتل عدد كبير من أمراء الجيش الرومي إلا الذين استطاعوا الهرب، وتذكر بعض الروايات التاريخية أن قتلى الروم نحو ثمانين ألفاً، وسميت تلك الهاوية (الواقصة) لأن الروم وقصوا فيها، وقتل المسلمون من الروم في المعركة بعد ما أدبروا نحو خمسين ألفاً، خلاف من سقط في الهاوية ولما أصبحوا في اليوم التالي، نظر المسلمون فلم يجدوا في الوادي أحداً من الروم، فظنوا أن الروم قد أعدوا لهم كميناً؛ فبعثوا خيلاً لمعرفة الأمر، فإذا الرعاة يخبرونهم أنهم قد سقطوا في الهاوية أثناء تراجعهم، ومن بقي منهم غادر المكان ورحل، وتمت هزيمة الروم، ودخل المسلمون معسكرهم، وغنم المسلمون كل ما فيه، وحينما قسمت الغنائم، نال كل جندي مسلم منها نصيباً عظيماً، ونظر خالد إلى ساحة المعركة التي كانت مليئة بجنود الروم، ففرغت فلا يسمع فيها صوت، فلم يملك نفسه من أن يسجد لله شكراً على ما أنعم به عليه. وبلغ عدد شهداء المسلمين في المعركة ثلاثة آلاف مقاتل وفيهم كبار الصحابة، وذوي المكانة، وقد شاركت المرأة المسلمة في المعركة للدفاع عن نفسها وأولادها بعد أن اختلط جند الروم بالمسلمين، ودهموا النساء بالقتال، فأخذت نساء المسلمين يضربن بالسيوف في جند الروم ضرباً قاتلاً كالرجال مثل أم حكيم وجويرية بنت الحارث وهند بنت عتبة، وبعد نهاية المعركة ذهب خالد إلى أبي عبيدة مسلماً القيادة في هدوء له، فشكره أبو عبيدة وقبله بين عينيه تقديراً منه لعظم دوره في الحرب، ولحسن خلقه، وعظمة نفسه.

ومن بطولات المعركة أنه لما اشتد الأمر على المسلمين قام عكرمة بن أبي جهل فقال: (قاتلت رسول الله في مواطن، وأفر منكم اليوم؟)، ثم نادى: (من يبايع على الموت)، فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور مع أربعمئة فارس من المسلمين، وقاتلوا قتالا شديدا حتى قتل كثير منهم، فلما صرعوا استسقوا الماء فجاء لهم بالماء، فصار كل واحد منهم يؤثر أخاه على نفسه، حتى ماتوا جميعهم ولم يشرب منهم أحد.

نتائج معركة اليرموك: بعد تلقي هرقل خبر هزيمته في اليرموك نادى في أصحابه بالرحيل إلى القسطنطينية، وقال: (سلام عليك يا سورية، سلاما لا لقاء بعده)، وبانسحاب هرقل انتشرت جيوش الفتح الإسلامي الأربعة كل إلى وجهته الأولى، وأنهم افتح مدن الشام في عهد عمر؛ دمشق وحمص وقنسرين واجنادين وبيت المقدس وغيرها، ولم يعودوا يجدون تلك المقاومة القوية التي كانت تواجههم قبل معركة اليرموك.

ترشيح أبي بكر عمر للخلافة في مرض موته

خاطب أبو بكر الصحابة في مرض موته قائلا لهم: (إنه قد نزل بي ما قد ترونه، ولا أظنني إلا ميتا لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدي، ورد عليكم أمركم، فأمرؤا عليكم من أحببتكم، فإنكم إن أمرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا بعدي)، فغابوا عنه ولم يستقم لهم أمر، فرجعوا إليه وقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك. فلما خلا بنفسه عظم في رأيه شأن عمر، فصار يستشير كبار الصحابة في ترشيح عمر، فوجدهم كلهم يثنون عليه، فاستدعى عثمان وأمره أن يكتب كتابا يرشح فيه عمر، فكتب عثمان، ثم أمر عثمان أن يقرأه على كبار الصحابة، فقرأه ورضوا بما جاء فيه، وبذلك تمت البيعة الخاصة لعمر، وهي بيعة الترشيح، أما انعقاد الخلافة له فلم يحصل إلا بعد أن توفي أبو بكر، وقام المسلمون بمبايعة عمر البيعة العامة أو انتخابه بلغة اليوم، فأصبح خليفة للمسلمين واستمرت خلافته **عشر سنين**.

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في سطور

نسبه: هو عمر بن الخطاب بن نفيل، من بطن من بطون قريش اسمه **بني عدي**، وهو ليس من البطون المتقدمة في قريش، وامه هي حنتمة بنت هشام المخزومية، وخاله أبو جهل عمرو بن هشام، وكان عمر في الجاهلية متوليا **وظيفة السفارة** لقريش، وكان زعيم قومه بني عدي.

لقبه: لقبه النبي صلى الله عليه وسلم بـ **الفاروق**؛ لأن الله فرق بإسلامه بين الحق والباطل.

أزواجه واولاده:

1- زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون، وأنجب منها:

= حفصة أم المؤمنين، وكانت حفصة قد تزوجت قبل النبي من خنيس بن حذافة السهمي فمات عنها.

= عبد الرحمن الأكبر.

= عبد الله، وهو الصحابي المشهور.

2 - مليكة بنت جرو ل بنت عمرو الخزاعية: وأنجب منها: عبيد الله، وهو من شجعان قريش، وهو الذي قتل الهرمزان وجفنة النصراني لاعتقاده أنهما مشتركان مع أبي لؤلؤة المجوسي في قتل أبيه عمر، حيث كان عمر قد منع موالى الفتوح من دخول المدينة حفاظا على أمنها، فطلب المغيرة بن شعبه من عمر أن يستثنى من هذا المنع أحد موالىه وهو أبو لؤلؤة المجوسي؛ لأنه صاحب مهن تحتاجها المدينة، فأذن له عمر، ثم إن أبا لؤلؤة صار يجهز خنجر ذا شعبتين ويغمسه بالسّم ليقتل به عمر، انتقاما منه لفتح بلاد فارس، وانتظر صلاة الفجر وعمر يؤم الناس فهاجمه وطعنه طعنيتين، أفضتا إلى قتله لاحقا، فلما أفاق عمر من إغمائه بعد الطعن، قال: "هل صلى الناس؟" ثم سأل عن طعنه؟ فلما أخبر أنه أبو لؤلؤة المجوسي، قال: (الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي مسلما يحاجني عند الله بسجدة سجدها)، وقد شهد عبيد الله صفيين مع معاوية، وقتل فيها.

3 - أم حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومية: تزوجها بعد مقتل زوجها عكرمة بن أبي جهل في اليرموك، وأنجب منها: فاطمة.

4 - عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، وكان قد تزوجها عبد الله بن أبي بكر فأحبها حبا شديدا، حتى أنه شغل بها عن الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أبو بكر بتطليقها، فطلقها، ثم أذن له فراجعها، ثم مات عنها في خلافة أبيه، وكان قبل موته قد طلب منها أن تعاهده على عدم الزواج بعده على أن يعطيها أرضا له، ففعلت، وكانت ترفض الخطاب، لكن عمر أقنعها بالعدول عن عهدها مع عبد الله وتزوجها وأنجب منها: عياضا.

5 - أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب: وأنجب منها: زيد ورقية.

6 - جميلة بن ثابت بن أبي الأفلح أخت الصحابي عاصم بن ثابت: وأنجب منها عاصم، وعاصم هذا هو جد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز لأمه.

7 - قريبة بنت أبي أمية المخزومية: وهي أخت أم سلمة أم المؤمنين.

إسلامه: تأخر إسلامه حتى السنة السادسة للبعثة، بعد إسلام أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة. وقد أعز الله الإسلام والمسلمين بإسلامه، قال ابن مسعود: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر).

ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم:

دخل علي بن أبي طالب على عمر وهو مصاب فترحم عليه وقال له: (ما خلفت أحدا أحب إلي ان ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله، إن كنت لأظن ان يجعلك الله مع صاحبك، وحسبت أنني كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر " .

فضائله:

1 - جاء في الحديث: " لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي احد فإنه عمر "، والمحدث هو الرجل الذي تلهمه الملائكة الصواب في نفسه من غير أن تكلمه حقيقة. قال عمر: (وافقت ربي في ثلاث)، وهي: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، وقوله يا رسول الله لو امرت نساءك ان يحتجن، وقوله لنساء النبي لما آذينه بالغيرة عليه: فعسى ربه إن طلقك أن يبدله أزواجا خيرا منك".

2 - جاء في الحديث: " بينا انا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضا إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبرا " فبكى عمر وقال: أعليك اغار يا رسول الله.

3 - جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر، ، وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: " اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان".

4 - جاء في الحديث: " إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط، إلا سلك فجا غير فلك".

5 - أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن بين الأمة والفتن التي تموج موج البحر باب، وأنه يكسر كسرا ولا يفتح فتحا، وقد فهم عمر من هذا الحديث لما سمعه من حذيفة بن اليمان أنه المقصود بهذا الباب، وأنه سيموت قتلا، فعمر كانت حياته أمان للأمة من الفتن.

6 - يعتبر عمر بن الخطاب بإجماع علماء أهل السنة والجماعة ثاني الصحابة في الفضل والمكانة بعد أبي بكر الصديق، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم).

1 - عمر هو أول من تسمى بأمير المؤمنين.

2 - اشتهر بعدله، وسارت الركبان بقصص ووقائع عدله بين الرعية وانتصافه للمظلوم من الظالم.

3 - إذا كان أبو بكر قد وقى دولة الإسلام من التفكك والانحيار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن عمر هو الذي أسس نظمها الإدارية والمالية، فهو أول من اتخذ بيت المال، وأول من اتخذ الدواوين أي المرافق العامة بلغة اليوم، وهو الذي طبق مبدأ الفصل بين السلطات بتكريسه مبدأ استقلال القضاء بشكل واضح، حيث كان يعين لكل إقليم من أقاليم دولة الإسلام واليا وقاضيا، ولا يجمع المنصبين لرجل واحد، كما أنه كان يدرك أهمية الرقابة الإدارية في نجاح الإدارة وتحقيقها لأهدافها، ولذلك وضع نظام رقابة صارم وجعل على رأسه محمد بن مسلمة، بل إنه كان يعس بنفسه ليلا ليعرف أحوال الرعية بنفسه ويتعرف على آثار سياساته عليهم، كما كان حريصا على رضا الناس، والاطمئنان دائما أن ولايته لا يظلمونهم في جسد أو عرض أو مال، وكم عزل من وال لشكاية أهل ولايته عليه.

4 - كان عمر لا يحب من ولايته وقادته ان يخالفوا القرارات والقوانين الصادرة عنه، التي هي نتاج الشورى التشريعية التي تجري في مجلس الشورى، روى البخاري في تاريخه عن ناشرة بن سمى اليزني قال: (سمعت عمر يعتذر إلى الناس بالجافية من عزل خالد، فقال: أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين، فاعطاه ذا البأس وذا الشرف واللسان، فأمرت أبا عبيدة).

4 - كان عمر مسكونا بالخوف على الرعية، مشفقا من مسؤوليته عنهم أمام الله، ولذا كان لا يحب من قادته العسكريين أن يغامروا بالجند في الفتوح، وقد وضع سياسة هي: عدم التوغل في بلاد الفرس، حرصا على أرواح المسلمين، وقد دفعه حرصه هذا على رفض اقتراح معاوية وكان واليه على الشام بإنشاء قوة بحرية للمسلمين، لأنه كان يخاف البحر على المسلمين، كما استمر عمر في سياسته بعدم تسليم مناصب قيادية في الجيش المسلم لأناس سبق لهم أن ارتدوا عن الإسلام، لكنه تخفف عن سياسة أبي بكر في حقهم، فصار يسمح لهم بالمشاركة في الفتوح كجنود لا قادة، وذلك لأنه قد آنس منهم حسن التوبة، كما أن اتساع رقعة الفتوح كانت تتطلب مزيدا من المقاتلين.

5 - ذهب بعض الباحثين إلى أن عمر يعد أعظم فاتح في تاريخ البشرية قاطبة، وذلك بالنظر إلى المساحة الجغرافية التي فتحها، وأيضا بالنظر إلى امتداد واستمرار آثار هذا الفتح أجيالا عديدة بعد ذلك إلى يومنا الحاضر، وقد استطاع عمر أن ينتهج سياسة في البلاد المفتوحة هي تمصير الأمصار أو بناء المدن لسكنى الجيش المسلم وعوائلهم، تلك السياسة التي مكنت المسلمين من الاستقرار في البلاد المفتوحة وتثبيت سيطرتهم عليها، من غير مضايقة سكانها الأصليين، ومن غير أن يخرق أمنهم، وأن تكون مدنها الجديدة خير مثال عملي حي لأسلوب الحياة الإسلامي، لمن أراد معرفة الإسلام من أهل هذه البلاد، وهو ما ساهم بنشر الإسلام فيها.

6 - منع عمر كبار الصحابة من الذهاب إلى الأمصار المفتوحة وأبقاهم بجانبه في المدينة ليستشيرهم في شئون الحكم.

7 - ولما حل بالمسلمين القحط تسعة أشهر، واسودت الأرض من قلة المطر، حتى صار لونها شبيها بالرماد، وسمي ذلك العام بعام الرمادة، وجاع الناس، جاع عمر معهم ولم يشبع حتى شبعوا، وبعث إلى واليه في مصر (عمرو بن العاص) وواليه في البصرة (أبو موسى الأشعري) يقول: (يا غوثاه لأمة محمد). وخرج في الناس بعم النبي صلى الله عليه وسلم العباس يستسقون به، فسقاهم الله، قال انس: (إن عمر كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنينا ففسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. فيسقون). ونأخذ من هذا الحديث حرمة التوسل بالأموات، وجواز التوسل بالصالحين الأحياء.

أهم الأحداث في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أ - استكمال فتوح العراق وما وراءها من البلدان:

حدث أبو بكر - وهو يحتضر - عمر رضي الله عنهما على دعوة الناس في الحجاز للخروج إلى العراق لاستكمال فتحه، ففعل عمر، وولى قيادة الجيوش لأبي عبيد بن مسعود الثقفي، وأوصاه قائلا: " اسمع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعا حتى تتبين، فإنها الحرب، والحرب لا يصلح لها إلا الرجل المكيث، الذي يعرف الفرصة والكف".

سار أبو عبيد إلى العراق وخاض عددا من المعارك التي انتصر فيها، ثم إن رستم القائد العام لجيوش فارس أمر بهمن بن جادويه أن يخرج لقتال أبي عبيد في منطقة المروحة، وأمر فلول الجند التي انهزمت أمام أبي عبيد في المعركة السابقة أن تجتمع تحت إمرة بهمن لقتال المسلمين، وكان مع جيش بهمن خيلا مدرعة وفيلة، أقبل أبو عبيد إلى منطقة المروحة ونزل فيها وبينه وبين حيش بهمن تفرعة من نهر الفرات، فبعث إليه بهمن: " إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور، وإما أن نعبر إليكم"، فقال المسلمون: " لا تعبر يا أبا عبيد، ننهك عن العبور"، وقالوا له: " قل لهم: فليعبروا"، فلج أبو عبيد وترك الرأي مخالفا نصح عمر، وقرر العبور إليهم، وجرت معركة غير متكافئة، وقتلت الفيلة أبا عبيد، وانسحب المسلمون إلى الجسر، وقطع بعضهم الجسر، فسقط بالمسلمين في الماء، ثم أصلح المسلمون الجسر وعبرت بقيتهم عليه منسحبة منهزمة بعد شدة وعناء، وبلغ يومها عدد قتلى المسلمين 4000 قتيل، وفر من أرض المعركة 2000 وثبت 3000، وبالرغم من الهزيمة فقد قتلوا من الفرس في الجولة الأولى من المعركة 6000 مقاتل، وقد حزن عمر لهذه المعركة حزنا شديدا، وقال: " يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز إلى لكنت له فنة".

بعد معركة الجسر استطاع المثنى بن الحارثة خوص عدد من المعارك ليستعيد المبادرة مرة أخرى في العراق، مما أربك الفرس الذين اجتمعوا حول كسرى جديده هو يزجرد الشاب، فقام يزجرد بإعادة موضعة قواته، وجعل القيادة لرستم أيضا، عندها شعر المثنى - الذي كان به آثار إصابة منذ معركة الجسر - بخطورة الوضع، فانسحب بقواته من الحيرة إلى منطقة ذي قار، وبعث قبل أن يموت بقليل إلى الخليفة عمر يستمده ويستندج به لمواجهة هذا الوضع الجديد، وبدوره استجاب الخليفة عمر، وخرج على رأس الجيش الإسلامي من المدينة، بعد أن استخلف عليها علي بن أبي طالب، واصطحب معه عثمان بن عفان وكبار الصحابة، فلما وصل الجيش إلى ماء يقال له صرار قريب من المدينة، عقد عمر مجلسا استشاريا، وأرسل إلى علي بن أبي طالب أن يأتي من المدينة، فاتفق الجميع على رأي عمر في أن يذهب هو بنفسه لقيادة جيوش لمسلمين إلا عبد الرحمن بن عوف، فإنه قال: " إني أخشى إن كسرت أن تضعف أمر المسلمين في سائر أقطار الأرض، وإنني أرى أن تبعث رجلا وترجع إلى المدينة"، فأخذ عمر بهذا الرأي، وقال: " فمن ترى أن نبعث؟"، فقال عبد الرحمن: " الأسد في برائه سعد بن أبي وقاص"، فرضي عمر، وأصبح سعد قائد جيوش الفتح في العراق، وقال عمر: " والله لأرمين ملوك العجم بملوك العرب"، فاجتمعت أمراء القبائل العربية المسلمة مع سعد في القادسية، وكان في جيش سعد 300 صحابي منهم 70 بدريا.

1- موقعة القادسية في 14هـ:

= تعتبر موقعة القادسية الموقعة التي كسرت فيها قوة الفرس العسكرية في العراق، وترتب عليها فتح العراق بأكملها، فقد حشد الفرس قوتهم تحت إمرة رستم.

= خلافا لما فعله أبو عبيد فقد اختار سعد بن أبي وقاص أن يعبر رستم بجيشه النهر إلى الضفة التي فيها الجيش المسلم.

= كان رستم خائفا من قتال المسلمين ويتمنى أن يتجنب ذلك، ولذلك طلب من سعد أن يرسل له الرسل للتفاوض، وكان من بين هؤلاء ربعي بن عامر رضي الله عنه، استعد رستم للقاء ربعي بارتداء الثياب الفاخرة، ووضع التاج على رأسه، وجلس على سرير من ذهب، وفرش مجلسه بالفرش والأمتعة الجميلة الثمينة، وذلك من أجل أن يرهب ربعي بن عامر ويفت في عضده، بإظهار عظمة ملكه. وعلى عكس ذلك جاءه ربعي وهو يلبس ثيابا سميكة خشنة راكبا على فرس قصيرة وهو متقلد سيفاً ويحمل رمحا وترسا، وعندما رأى مجلس رستم وهيئته فهم مراده، فأراد أن يبعث له برسالة هي أنه لا يرهبه ما يرى من زخرف الدنيا، وأن المظاهر لا تخفي الحقائق عنده، فنزل عن فرسه وربطها ببعض الوسائد، ثم هم أن يدخل بسلحه فنهاه الحرس، فقال لهم بعزة المؤمن: "إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوتكم، فإن تركتموني هكذا، وإلا رجعت"، فقال لهم رستم: "اأذنوا له"، فأقبل يتوكأ برمحه فوق الفرش فخرق عامتها، ثم قالوا له: "ما جاء بك ؟" هم بهذا السؤال ينتظرون منه مطلبا ماديا ليفاوضوه عليه، لكنه أجابهم بمطلب قيمى قطع به أياسهم، ونقلهم إلى فضاء آخر، فدولة الإسلام دولة رسالة ودعوة عالمية لا دولة درهم ودينار، فقال: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله"، قالوا: "وما موعود الله ؟"، قال: "الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي"، يعني: الشهادة أو النصر،

كيفية تولي عثمان بن عفان الخلافة

قصة الشورى:

لما طعن عمر قال له أهل الحل والعقد ممثلي الأمة من الصحابة: (أوص يا أمير المؤمنين، استخلف). والمعنى أن الأمة تطلب من خليفته أن يختار لها مرشحا، كما فعلوا أيام أبي بكر.

فماذا فعل عمر؟ عمر رفض أن يختار مرشحا واحدا فقط كما فعل أبو بكر، ولكنه خاطب ممثلي الأمة قائلا: (ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر، أو الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض) ثم سمى ستة مرشحين من الصحابة هم: علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص، وسمى سابعا هو ابنه عبد الله بن عمر، لكن قال بشأته: (يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء)، يعني عبد الله ليس مرشحا، فعمر هنا سمى كل من تنطبق عليه شروط تولي الخلافة ولم يبق أحدا، يعني: رد الأمر إلى الأمة لاختار من بين كل الصالحين للخلافة خليفة بعد موته، ولذلك لا يقال أين الشورى السياسية هنا؟ لأن عمر لم يترك اسما يصلح للخلافة إلا سماه، فعلم يشاور؟، حتى أنه سمى ابنه عبد الله؛ لأنه يصلح للخلافة، لكنه طلب من الأمة ألا تختاره، ثم هو مع عدم حاجة الأمر للشورى تراه يخاطب ممثلي الأمة، ويأخذ موافقتهم على هذه الأسماء ولا معترض، فالشورى حاصلة إذا، والبيعة الخاصة للستة تمت وفق القواعد الشرعية.

بعد وفاة عمر ودفنه اجتمع المرشحون فقال عبد الرحمن: (اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم)، يعني ليتنازل ثلاثة لثلاثة، فتنازل الزبير لعلي وطلحة لعثمان وسعد لعبد الرحمن.

قال عبد الرحمن مخاطبا عليا وعثمان ومقترحا: (أيكما يبرأ من الأمر فنجعله إليه؟)، يعني: من يتنازل منكما عن الترشح للخلافة، ونولي أمر إدارة عملية انتخاب الخليفة من بين المرشحين المتبقين؟، هنا سكت علي وعثمان، مما يدل على رغبة كل منهما بالترشح للخلافة، فقال عبد الرحمن عندها: (أفتجعلونه إلي؟ والله على ألا آلو عن أفضلكما)، يعني: أنا سأتنازل، فهل توافقون أن أتولى إدارة عملية الانتخاب، لاختيار الأفضل منكما، ولكم علي ألا أقصر في ذلك؟، فوافقا وقالوا: (نعم).

بعدها صار عبد الرحمن يسأل أهل الحل والعقد من الصحابة من يريدون عليا أم عثمان؟، واستمر في ذلك ثلاثة أيام، فكان جواب الناس جميعا جوابا واحدا بالإجماع انهم يختارون عثمان، وفي ذلك يقول عبد الرحمن: (والله ما تركت بيتا من بيوت المهاجرين والأنصار إلا وسالتهم، فما رأيتهم يعدلون بعثمان أحدا).

بعد ذلك لم يبق إلا أن يعلن عبد الرحمن بن عوف نتيجة الانتخابات العامة التي أجراها، فاجتمع بالمرشحين علي وعثمان وخاطب كلا منهما على حدة بالخطاب التالي: (لك قرابة من رسول الله والقدم في الإسلام ما قد علمت، فإله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت الآخر لتسمعن ولتطعن) فقالا: (نعم)، وعندها أعلن النتيجة فقال: (ارفع يدك يا عثمان) فبايعه، ثم بايعه علي برضا وطيب خاطر، ثم بايعه بقية أهل الشورى والناس، فانعقدت له الخلافة بتلك البيعة العامة.

هذه الوقائع هي الوقائع التي أفادتها الروايات الصادقة في صحيح البخاري وغيره.

أما إذا قرأنا - على سبيل المثال - رواية أبي مخنف الكاذبة في تاريخ الطبري فسنجد عرضا للأحداث يختلف عما جرى في الواقع والحقيقة كما أفادت روايات البخاري، ومما يؤسف له أننا نرى كتب التاريخ الحديثة تترك رواية البخاري وتأخذ برواية أبي مخنف الكاذب.

ماذا نجد في رواية أبي مخنف؟ يتضح ذلك من خلال هذه المقارنة التي نعرضها هنا بين الروايتين على النحو التالي:

رواية البخاري لاستخلاف عثمان بن عفان رضي الله	رواية أبي مخنف في الطبري لاستخلاف عثمان بن
---	--

عفان رضي الله عنه	عنه
<p>1- الراغب في الخلافة الستة كلهم رضي الله عنهم أجمعين، حيث جاء فيها أن عمر أمرهم ان يجتمعوا ليختاروا من بينهم واحدا في حياته:(فدخلوا فتناجوا ثم ارتفعت أصواتهمفقال لهم عمر: ألا اعرضوا عن هذا أجمعون، فإن مت فتشاوروا ثلاثة أيام).</p>	<p>1- الراغب في الخلافة من الستة اثنان فقط عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.</p>
<p>2- اختيار عثمان خليفة للمسلمين جاء بعد اختلاف وتنازع وتهديد وإكراه وخديعة وموامة على علي رضي الله عنه.</p>	<p>2- اختيار عثمان خليفة للمسلمين جرى بناء على قاعدة الشورى واختيار ورضا من جميع أهل الحل والعقد في المدينة بذلك ومنهم على رضي الله عنهم أجمعين.</p>
<p>3- عبارات متعددة تخالف النصوص الثابتة بترتيب أفضلية الصحابة، فتارة أبو عبيدة أفضل من جميع الستة (يقول عمر: لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته) و سالم مولى أبي حذيفة أفضل منهم ايضا (يقول عمر: ولو كان سالم حيا لاستخلفته) وتارة علي بن أبي طالب أفضل من بقية الستة (يقول عمر عن علي: هو أحراكم أن يحملكم على الحق) (ويقول في مقارنة بين علي وعثمان ويغمر فيها بعثمان: وإن ولي عليوأحرى به أن يحملهم على طريق الحق) وكان عثمان لن يفعل،كل ذلك يفتريه أبو مخنف، لتشتيت ذهن المتلقي بما يخالف إجماع الصحابة الذي نقله ابن عمر أن أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر هو عثمان رضي الله عن الجميع، يعني الهدف تغييب الحقيقة في أذهان المسلمين في قضية من أفضل من الآخر بين الصحابة، ليتسنى بعد ذلك القول بأن علي هو أفضل الصحابة، وانه الأحق بالخلافة، وكان أبا مخنف يضع هنا البذور لما سيتطور لاحقا من أفكار منحرفة يشقون بها صف المسلمين.</p>	<p>3- أظهرت الرواية منزلة عثمان وأنه الأفضل بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الوقت، وان بيعته تمت بالإجماع. وقد اكد هذا المعنى الإمام أحمد بن حنبل عندما قال:(ما كان في القوم (يعني: أبو بكر وعمر وعلي) أوكد ببيعة من عثمان كانت بإجماعهم).</p> <p>وقال عبد الله بن مسعود:(ولينا أعلاها ذا فوق).</p> <p>فالذي عليه أهل السنة أن من قدم عليا على أبي بكر وعمر في الفضل والمكانة فهو ضال مبتدع وليس من أهل السنة، واما من قدم عليا على عثمان فهو لا يخرج من أهل السنة لكنه مخطئ.</p> <p>وقد قال بعض الأئمة ومنهم أحمد بن حنبل:(من قدم عليا على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار)، يعني كانه يقول أنهم خانوا الأمانة، لأنهم في البيعة العامة فضلوهم كلهم على علي.</p>
<p>4- دخل علي بن ابي طالب عملية الشورى بالرغم من تحذير عمه العباس له بقوله: (لا تدخل معهم) وتعليقه ذلك بقوله:(إن ترى ما تكره)، بعد ان أصر علي على المشاركة قائلا:(أكره الخلاف)، وكأن أبا مخنف يشير</p>	<p>4- لم يختلف علي بن أبي طالب مع الصحابة والأمة وكان من أوائل المبايعين لعثمان عن رضا وتسليم، ولم يكن في الأمر مؤامرة على علي ولا خديعة ولا إكراه.</p>

<p>إلى مؤامرة جرت على علي لاستبعاده عن الأمر مع أنه وبشهادة عمر الأحرى أن يحملهم على الحق، فهو إذا الأحق فيه، كما أن هذا الحوار بين علي وعمه العباس إنما افتراه أبو مخنف ليمهد للأصل الذي اعتمده الرافضة فيما بعد وهو أن الحق يكون دائما في مخالفة إجماع الأمة.</p>	
<p>5- الطعن في نزاهة عمر وعدالته ونزاهة وعدالة غيره من الصحابة، وهذا يظهر من العبارات التي نسبت لعمر ومررت سابقا وفيها أن عمر يعلم أن علي هو الأحق لكنه مع ذلك لا يختاره، ويضيع القضية بجعلها في ستة مرشحين، ومنها أيضا طعن عمر في المرشحين الستة وإظهارهم بمظهر المتكالب على الحكم، يقول عم: (إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم، ولكني أخاف عليكم اختلافكم فيما بينكم فيختلف الناس) وهذه العبارة جد خبيثة، وكأنه يقرر أن ما جرى بعد ذلك من فتن إنما كان السبب فيه الصحابة لا غيرهم، وقد مر معنا أن النصوص الشرعية الصحيحة أثبتت أنهم كانوا ضحايا لغيرهم، وأيضا منها ما ادعاه من اقتراح بعض الجالسين عنده من الصحابة بأن يرشح ابنه عبد الله بن عمر، وكأنه ينافقه، فيرد عمر: (قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا) طعنا بهذا الصحابي، ثم يكمل عمر طاعنا بابنه عبد الله: (ويحك، كيف أستخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته؟).</p>	<p>5- تزكية عمر وبيان نزاهته وعدالته ونزاهة وعدالة الصحابة في كل ما جرى.</p>
<p>6- عمر يرجح عليا على غيره ثم لا يختاره، وهذا غمز ولمز في عمر بل وفي عملية انتقال الحكم كلها.</p>	<p>6- عمر لم يرجح أحدا من الستة على أحد.</p>
<p>7- عمر يحتقر الصحابة ويستخف بهم ويشكك في نياتهم، ويتعامل معهم بقسوة وريبة، ويظهر ذلك في مواطن من الرواية مر بعضها، ومنها: (وقال لأبي طلحة الأنصاري: اختر خمسين رجلا من الأنصار، فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم وقال لصهيب: وقم على رؤوسهم، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاشدخ رأسه أو اضرب رأسه بالسيف (!) فهل يعقل أن يكون هذا عدل عمر، ورحمة الإسلام</p>	<p>7 - عمر يحترم الصحابة ويجلهم ويقدرهم بما لهم من قدر ومكانة عند الله والناس.</p>

بأهله، هل نحن في عملية شورى وحرية رأي واختيار تجري بين اتباع خير الرسل والأنبياء أم نحن في حضرة عصابة إجرامية ومسلخ ذبائح؟!!!، وهل يليق ذلك بعدالة الصحابة التي قررتها النصوص المحكمة؟!!!	
--	--

عثمان في سطور

اسمه ونسبه:

هو عثمان بن عفان، من بني عبد شمس، وعبد شمس هو أخو هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم وهما ابنا عبد مناف، وأم عثمان هي أروى بنت كريب، وامها هي أم حكيم عمة النبي صلى الله عليه وسلم، فعثمان إذا حفيد عمة رسول الله.

لقبه:

لقب بذي النورين؛ لأنه تزوج بنتي رسول الله، أولا تزوج رقية، وأنجب منها عبد الله، لكنه مات وهو صغير، ثم مرضت وماتت، ثم تزوج بعدها شقيقته أم كلثوم، ولم تنجب له، وماتت عنده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو كان عندي عشرة من البنات لزوجتهن عثمان، ثم تزوج نساء آخر وأنجب منهن أبناء وبنات.

كنيته:

تكنى بأبي عبد الله، وبأبي عمرو.

إسلامه:

من السابقين الأوائل إلى الإسلام، أسلم على يد أبي بكر الصديق، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وهو الخليفة الراشد الوحيد الذي فعل ذلك.

فضله:

= جاء بألف دينار وصبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم لتجهيز جيش تبوك، فقال النبي: "ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم" يرددها مرارا.

= طلب يوما الإذن بالدخول على مكان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي للحاجب وكان أبا موسى الأشعري: "افتح، وبشره بالجنة على بلوى تصيبه".

= عن مرة بن كعب أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الفتن، فمر رجل مقنع فقال النبي: "هذا يومئذ على الهدى"، فقامت إليه فإذا هو عثمان.

= عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عثمان إن ولاك الله يوما فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه".

هذه الأحاديث الثلاثة الأخيرة تثبت أن عثمان رضي الله عنه في الفتنة التي جرت في عهده وانتهت بقتله كان مظلوما شهيدا رضي الله عنه، كما تثبت أن من خرج عليه كان ظلما منافقا ضالا.

أهم الأحداث في خلافة عثمان:

= استمرت خلافته 12 سنة، كانت سنوات امتداد لرقعة أرض الإسلام، وأمن ورخاء، وفي آخر سنتين منها جرت أحداث الفتنة، أي في عامي 34هـ و35هـ، أما العشر سنوات الأولى من خلافته فتميزت بالفتوح البرية والبحرية، ففتحت قبرص، وأذربيجان، وأرمينية، وكابل، وسجستان، وأفريقية (تونس)، وفي هذه الفتوح ألغى عثمان سياسة أبي بكر وعمر في الاستعانة بمن سبق له الردة، حيث سمح عثمان لهم بتولي القيادات العسكرية في الجيوش الإسلامية.

= فتح أفريقية سنة 27هـ: وقام به عبد الله بن سعد بن أبي السرح، حيث كلفه به عثمان على أن يعطيه خمس خمس الغنيمة، ففتحها عبد الله، ودخل أهلها في الإسلام.

= وقعة جرجير والبربر مع المسلمين سنة 27هـ: وفيها اشتهر أمر عبد الله بن الزبير كفارس من فرسان المسلمين الشجعان وظهر امره لأول مرة، حيث حاصر البربر وملكهم جرجير المسلمين بمائة وعشرين ألف مقاتل، في حين كان عدد المسلمين عشرين ألفا، فاستأذن عبد الله بن الزبير قائد الجيش عبد الله بن أبي السرح بأن يتوجه على جرجير ملك البربر مع عدد من جند المسلمين يحمون ظهره، ليقوم بقتله، فأذن له، وسار يشق الصفوف وجند البربر يظنون أنه يحمل

رسالة لملكهم، فلما اقترب من جرجير حاول جرجير الهرب لكن عبد الله أدركه وقتله، وقطع رأسه ورفعاه على رمح، فانهارت معنويات البربر وفروا، فهزمهم المسلمون هزيمة نكراء وغنموا منهم مالا كثيرا وسبيا عظيما.

= **موقعة ذات الصواري البحرية (31هـ):** وجرت في بلاد المغرب بين جيش الروم والبربر بقيادة قسطنطين بن هرقل الروم، وجيش المسلمين بقيادة عبد الله بن أبي السرح، وانتصر المسلمون وغنموا.

= **بناء اول أسطول بحري للدولة الإسلامية،** حيث كان معاوية استأذن عمر في ذلك لكن عمر رفض، فلما جاء عهد عثمان أذن عثمان فبنى معاوية الأسطول وغزا في البحر.

= **توسعة المسجد النبوي.**

= **جمع القرآن مرة ثانية،** وكلف بذلك زيد بن ثابت الأنصاري، وثلاثة من قریش، فنسخوا ستة مصاحف عن مصحف أبي بكر، وكتبوه بحرف قریش، وبعث عثمان هذه النسخ إلى الأمصار، واستبقى واحدة منها عنده في المدينة، كما بعث مع كل نسخة منها معلما يعلمها، فزيد في المدينة، وعامر بن عبد القيس في البصرة، وأبي عبد الرحمن السلمي في الكوفة، وعبد الله بن السائب في مكة، والمغيرة بن شهاب في الشام، والسادسة هي المصحف الإمام وجعلها عنده.

الفتنة في عهد عثمان

= **بدأت الفتنة سنة 34هـ ،** حيث خرج بعض الناس، لكنهم فشلوا وأمسك بهم معاوية في الشام، وأنبهم ثم أطلقهم، لكنهم عادوا وخرجوا سنة 35هـ مستغلين موسم الحج، ليصلوا على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحاصروا الخليفة أربعين يوما انتهت بقتله رضي الله عنه ظلما.

= **أسباب الفتنة:**

السبب الأول: وهو السبب الرئيس: رجل يهودي يقال له عبد الله بن سبأ، اعتنق الإسلام ظاهرا، وخرج من اليمن، بخطة عمل خبيثة ليؤكد للإسلام ودولة الخلافة الراشدة على النحو التالي:

أولا: أهدافه:

- 1- إضعاف النظام السياسي الإسلامي الممثل بدولة الخلافة الراشدة، من خلال ضرب الاستقرار السياسي، والتشويش الفكري.
- 2- شق الصف المسلم سياسيا أولا تمهيدا لشقه فكريا ثانيا، وهو الأمر التي مهد لظهور الفرق الضالة - كالشيعة وغيرها - فيما بعد.
- 3- إسقاط اعتبار الصحابة والتشكيك في عدالتهم، من خلال تشويه الخلفاء الثلاثة الأوائل وبعض أمهات المؤمنين، توصلا لاحقا إلى إبطال ما نقلوه من قرآن وسنة أي هدم الإسلام، لأن الطعن في الناقل طعن في المنقول.

ثانيا: وسائله وأساليبه:

- 1- اعتناقه الإسلام، ليتمكن من اكتساب مشروعية تعطيه حق الكلام وبالتالي التأثير في المجتمعات المسلمة.
- 2- اعتماده العمل الباطني السري المنظم الدائم من داخل بيت الخصم وباسم الخير والإصلاح والإنسانية (خطة الماسونية)، واتخذ لذلك الأعوان والدعاة من: خبثاء فهموا مقاصده وغاياته، ومغفلين تابعوه جهلا وضلالا، وهو قد أجاد القيام بذلك لكونه من علماء اليهودية وأحبارها، الذين أخذوا على عاتقهم بعد السبي البابلي الذي حدث لليهود أن يصبحوا وكلاء الشيطان في إفساد رسالات السماء ومقاومة الأنبياء والرسول عليهم السلام، قال تعالى: "ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة... الآية"، وقال أيضا: "أو كلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففرقا كذبتم وفريقا تقتلون"، حتى سمو في التاريخ بقتلة الأنبياء، وأصبحت وسيلتهم في ذلك العمل السري المنظم أو ما يسمى بـ "الماسونية"، وكما حاولت الماسونية اليهودية إفساد رسالة عيسى عليه السلام من خلال بولس اليهودي، الذي دخل في النصرانية وأدخل فيها عقيدة التثليث الشركية، كذا حاولت عن طريق قائدها في الجزيرة العربية حيي بن أخطب زعيم بني النضير أن تطفئ نور الإسلام بمحاولات اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم تارة وبالمواجهة العسكرية تارة أخرى، كما حصل في غزوة الأحزاب، فلما فشل حيي بن أخطب، وأمكن الله المسلمين منه في خيبر، ثم أخرج عمر بن الخطاب بقاياهم من خيبر في عهده، جاء بولس الإسلام عبد الله بن سبأ في عهد عثمان ليفعل الأمر نفسه ويكمل المهمة، لكن بأسلوب جديد يجيدونه جيدا وهو العمل السري المنظم من داخل البيت الإسلامي وباسم الإسلام، ولكنه فشل في أن يحقق في الإسلام النجاح الكبير الذي حققه بولس في النصرانية حيث حُرف أغلب النصارى بعيدا عن التوحيد، ولعل السبب في ذلك أن رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتمة للبشرية، وقد تكفل الله بحفظها، لتبقى حجة على الخلق إلى أن تقوم الساعة، واقتصر نجاحه على ولادة هذه الفرق الضالة المبتدعة المعروفة المعزولة عن جمهور الأمة، كالشيعة وغيرها، فبقيت أغلب الأمة بحمد الله وفضله ومنته على المحجة البيضاء الصافية النقية برعاية ربها الحافظ لدينه على يد علماء الأمة الربانيين الذين يجتنبهم ويصطفيهم كلما خبي نور الرسالة ليجددوا لهذه الأمة دينها.

- 3- خطابه ورسالته داخل المجتمع المسلم كان ينشرها في كل أقاليم وولايات الدولة الإسلامية ويخاطب بها كل طبقات وأطياف مجتمعاتها، لكنه ركز في استهدافه على فئات معينة، اختارها بعناية؛ لسهولة استقطابها وهي:

أ- اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من أتباع الديانات والدول، الذين هزمهم الإسلام في المواجهة المباشرة معه، وتضررت مصالحهم لذلك بشدة، ورفضوا الدخول في الإسلام، أو دخلوا فيه ظاهرا، لكن قلوبهم تغلي حقدا عليه، وخاصة الفرس المجوس؛ لأن الإسلام أزال ملكهم بالكلية، فهؤلاء مؤهلون وجاهزون للانخراط في أي عمل يستهدف الإسلام ودولته ورموزه.

ب - الأعراب الذين دخلوا في الإسلام ثم ارتدوا وقوتلوا ثم رجعوا، فبعضهم رجع ظاهرا لا حقيقة، وما زال في قلبه حقد على الإسلام والصحابة، خاصة أنهم يعترضون على رئاسة قريش الدائمة للدولة الإسلامية، فلماذا قريش؟.

ج - الشباب حديثو السن وقليلو التجربة.

4- استخدام خطاب فكري متنوع في مخاطبة الفئات المستهدفة بما يناسب كل فئة، بحسب أشواقها ورغباتها، فالفئة الأولى الخبيثة خاطبها بخطاب الانتقام من المسلمين، وأعطاهم زادا فكريا يوافق عقائدها الأصلية التي تؤله البشر والمخلوقات، هذا الزاد هو دعوته إلى تأليه علي بن أبي طالب، وهو نظير تأليه اليهود عزيرا، والنصارى عيسى، والمجوس كسرى وأسرته.

أما الفئة الثانية من الأعراب الساخطين على رئاسة قريش فخاطبها بنشر الأكاذيب والإشاعات على الخليفة عثمان وولاته، فصدقوا لرغبتهم بالتصديق شفاء لما في صدورهم من غل على الصحابة من قريش، فتابعه منهم غير واحد ممن سكن النفاق والشفاق في قلوبهم.

وأما الفئة الثالثة وهي فئة الشباب، فهؤلاء قد سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكنهم لم يرونه، وهم في شوق إلى رؤيته، وهم مع ذلك قليلو العلم بالدين، فخاطبهم بعقيدة الرجعة، فكان يقول: عجا لمن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدا يرجع، وقد قال الله: "إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد".

ثم خاطب جميع هذه الفئات بل المجتمع الإسلامي كله خطابا طرح فيه البديل لحكم عثمان الظالم بزعمه، وهذا البديل قام بصياغته صياغة فكرية عقائدية وهو عقيدة الوصاية، فكان يقول: كان فيما مضى ألف نبي، ولكل نبي وصي، وإن عليا وصي محمد.

5- حرص على ترك بصمته العقائدية اليهودية في كل ما يطرح، وهو مما يسهل تواصل وتعاون الحاملين لهذه الطروحات من أمة الإسلام مع الماسونية اليهودية في كل عصر، فعقيدة تأليه البشر وحلول اللاهوت في الناسوت، وعقيدة الرجعة، وعقيدة الوصاية، وكون الإمامة في بيت واحد، ومبدأ النقية على إطلاقه، كل ذلك زاد فكري عقائدي يهودي بامتياز، حملته بعض الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام تائرا بعبد الله بن سبا، وخاصة فرق الشيعة.

6- اعتمد أسلوب الاغتيال المعنوي للشخصيات المستهدفة وعلى رأسها عثمان بن عفان، تمهيدا وتهينة لقتلها واغتيالها، فلو أن أتباعه قتلوا عثمان رأسا من غير أن يثيروا سخط الناس عليه أولا - أي: تكوين رأي عام مهيب لمثل هذا الحدث - لفتك الناس بقتلته فورا من غير تردد. وقد استخدم في ذلك:

ا - نشر الإشاعات الكاذبة عن عثمان وولاته.

ب - تحريض أتباعه على دوام الشكاية على الولاة في كل صغيرة وكبيرة بحق او بباطل. فكان يقول لأتباعه كما نقل الطبري في تاريخه: "أكثرُوا الشكاية على الولاة، واملئُوا الأرض إشاعة".

ج - تزوير الكتب والرسائل على لسان الصحابة بأنهم يشكون ظلم وانحراف عثمان للمسلمين، ويدعونهم للاعتراض عليه، ولذلك لما قالت عائشة: (تركتموه - أي عثمان - كالثوب النقي من الدنس، ثم قربتموه تذبحونه كما يذبح الكبش)، فقال لها مسروق: (هذا عملك كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه)، فقالت عائشة: (والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبت لهم سوادا في بياض، حتى جلست مجلسي هذا)، قال الأعمش تعليقا على هذه الرواية: "فكانوا يرون أنه كتب على لسانها".

فكان من نتيجة ذلك كله أن صدق ذلك فريق لا يستهان به في ولايات مصر والكوفة والبصرة وغلت قلوبهم على عثمان، وعزموا بتحريض من دعاة عبد الله بن سبا اليهودي وتخطيط منه على الخروج إلى المدينة لعزله عن الخلافة، الأمر الذي حصل فعلا، وانتهى بقتلهم للخليفة الراشد الثالث ظلما وبهتاناً، وفتحوا بذلك باب الفتن والفلاقل على الأمة.

= أنكر بعض الباحثين المعاصرين من السنة شخصية عبد الله بن سبأ، وعدوه شخصية وهمية لا وجود لها في الحقيقة، ومن هؤلاء طه حسين في كتابه "علي وبنوه"، وفقا لمنهجه في الشك في كل شيء وإنكار اليقينيات والمسلمات، حيث أنكر أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بنيا للكعبة، وقال في كتابه "الشعر الجاهلي": (للقرآن أن يحدثنا عن هذا، ولكن لا يلزم أنه وقع).

كما أنكر شخصية ابن سبأ بعض الشيعة المتأخرين من مثل مرتضي العسكري، الذي حاول إيهام القارئ بأنه ينطلق من طريقة علمية حيث جمع الروايات والأحاديث المتعلقة بابن سبأ وادعى أنها ترد فقط عن طريق راو كذاب هو سيف بن عمر، وكلامه غير صحيح لأمرين:

الأول: أنه قد وردت روايات أخرى ثابتة تذكر ابن سبأ وهي ليست عن طريق سيف بن عمر.

الثاني: اتفاق علماء الشيعة والسنة المتقدمين على وجود شخصية ابن سبأ، فعلماء الفرق الشيعة وسنة يذكرون فرقة السبئية، نسبة إلى عبد الله بن سبأ الذي ادعى ألوهية علي، ولما أظهر قوله هذا وأراد علي بن أبي طالب قتله حرقا بالنار هو وأصحابه فر ابن سبأ وبعض أصحابه، وقيل بل قتله علي. كما ذكره كثير من علماء الشيعة المتقدمين في كتبهم كالكشي والصدوق والطوسي والمجلسي والنوري الطبرسي وغيرهم، وذكره أيضا كل مؤرخي السنة الذين أرخوا لتلك الفترة.

السبب الثاني: الرخاء الذي أصاب الأمة الإسلامية في عهد عثمان لكثرة الفتوحات، والرخاء يورث التذمر وعدم القبول. يقول الحسن البصري: (قلما يأتي على الناس يوم إلا ويقتسمون فيه خيرا).

السبب الثالث: الاختلاف بين طبع عثمان وطبع عمر، فعمر كان شديداً، وعثمان كان حليماً رؤوفاً ولا يعني ذلك أنه كان ضعيفاً، ولذا قال للمحاصرين له: (أتدرون ما جرأكم علي؟ ما جرأكم علي إلا حلمي)، وقال عبد الله بن عمر: (والله لقد نقموا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما تكلم منهم أحد).

السبب الرابع: استئصال بعض القبائل العربية المرتدة سابقاً لرئاسة قريش، قال ابن خلدون: (وجدت بعض القبائل الرئاسة على قريش، وأنفت نفوسهم، فكانوا يظهرن الطعن في الولاة) مستغلين طبعاً حلم عثمان ومسامحته.

الماخذ التي أخذت على الخليفة الراشد عثمان بن عفان من المحاصرين له

عند النظر إلى هذه المآخذ يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: أمور مكدوبة عليه وهي:

1- أنه نفى وطرده الصحابي أبا ذر إلى الربذة (مكان معروف بين مكة والمدينة)، بعد أن أرسله له معاوية مهانا، ففي الرواية الكاذبة التي رواها سيف ابن عمر وأوردها الطبري، أن معاوية شكّا إلى عثمان: (أن أبا ذر قد أفسد الناس علينا)، فأمره عثمان بأن يرسله إليه، فلما حضر أبا ذر إلى المدينة أنبه عثمان، ثم خرج إلى الربذة.

أما الروايات الصحيحة فتذكر أن معاوية بعد أن شكّا لعثمان كلام أبي ذر في مسألة كنز الذهب والفضة ومذهبه الخاطئ فيها، وخشيته أن يفسد هذا المذهب الناس، حيث كان أبو ذر - وخلافا للصحابة - يرى أنه لا يجوز للمسلم أن يدخر مالا فوق حاجته، ويعد ذلك كنزا، في حين يرى بقية الصحابة أن الادخار جائز، وإنما الحرام الذي يسمى كنزا هو أن لا يخرج الإنسان الحقوق الشرعية في المال الذي يدخره، كتب عثمان إلى أبي ذر يطلب منه الحضور إلى المدينة، يقول أبو ذر: (فقدمتها، فكثّر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال عثمان: إن شئت تنحيت فكنت قريبا، فذلك الذي أنزلني ذلك المنزل)، ومعنى: فكثّر علي الناس: أي أكثر الناس من سؤاله عن سبب خروجه من الشام، وسبب تخيير عثمان له بالخروج من المدينة هو خشية عثمان من أن يفسد مذهب الناس في المدينة.

ثم إن أبا ذر إنما خرج إلى الربذة باختياره تنفيذا منه لأمر النبي صلى الله عليه وسلم، يقول أبو ذر عندما خرج: (سمعت رسول الله يقول: "إذا بلغ البناء سلعا فاخرج منها")، فهذا الذي الذي أخرجه وليس أن عثمان طرده ونفاه.

وفي "طبقات ابن سعد" من وجه آخر: أن ناسا من أهل الكوفة قالوا لأبي ذر وهو بالربذة: إن هذا الرجل فعل بك وفعل ، هل أنت ناصب لنا راية - يعني فنقاتله - فقال: لا ، لو أن عثمان سيرني من المشرق إلى المغرب لسمعت وأطعت.

2- إعطاء عثمان مروان بن الحكم خمس إفريقية، فهذا لم يثبت أنه فعله رضي الله عنه، وقد مر معنا في فتح أفريقية أنه وعد عبد الله بن سعد بن أبي السرح بخمس الخمس الغنائم إن هو فتحها، وهذا المقدار جعله الله للأمام يضعه حيث شاء.

3- أنه ضرب ابن مسعود حتى فتق أمعاءه، وضرب عمار بن ياسر حتى كسر أضلعه، وهذا كذب، ولو فتق أمعاء ابن مسعود ما عاش.

4- أنه رد الحكم إلى المدينة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفاهم عنها إلى مكة، وهذا:

أولا: كذب لم يثبت بسند صحيح،

وثانيا: كيف ينفيه النبي إلى مكة وهو من أهلها أصلا،

وثالثا: هب أن النبي نفاه فهل هو نفي مؤبد لا ينتهي، خاصة أنه لا يعرف نفي مؤبد في الإسلام، فنفي الزاني غير المحصن مثلا مدته عام فقط،

ورابعا: إن النبي عفا عن جرم الردة وهو أعظم من جرم الحكم، حيث قبل شفاعة عثمان في عبد الله بن سعد بن أبي السرح بعد أن كان أهدر دمه، فلماذا لا يعفى عن الحكم، هذا على فرض صحة واقعة النفي.

القسم الثاني: أمور هي من قبيل المحاسن والمناقب فحولها المحاصرون إلى مساوئ ومثالب، وهي:

1- أنه أمر بإحراق المصاحف الفردية التي في أيدي المسلمين بعد جمعه للقرآن،

أولا: إن جمع عثمان للقرآن حصل بعد شورى بين الصحابة أجمعوا فيها على ضرورة جمعه، بعد أن أخبر حذيفة بن اليمان عما رآه من اختلاف بين المسلمين في القراءة، فاجمعوا على أن يتم نسخه عن مصحف أبي بكر ولكن برسم هو

حرف قریش، وهو ما سمي لاحقا بالرسم العثماني، حيث أراد الصحابة بذلك توحيد القراءة بين المسلمين على حرف قریش، حتلا يختلفوا في قراءته فيضيع القرآن ويحرف. فقرار الجمع لم يكن أمرا انفرد به عثمان.

ثانيا: المصاحف التي أمر عثمان بإحراقها، فيها أشياء من منسوخ التلاوة، كما أن ترتيب السور فيها على غير ترتيب السور النهائي كما هو في العرصة الأخيرة التي عرضها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن في بعضها اختلط التفسير مع التنزيل.

ثالثا: أجمع علماء أهل السنة والجماعة على أن ما فعله عثمان منقبة عظيمة له حفظ به كتاب الله، وفي ذلك يقول ابن العربي المالكي: (تلك حسنة العظمى، وخصلة الكبرى، فإنه حسم الخلاف، وحفظ الله القرآن على يديه).

2- أنه تخلف عن حضور غزوة بدر، وفي الرد على ذلك يقول عبد الله بن عمر: (وأما تغيبه عن بدر، فإنه كان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت مريضة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه"). أي أن تخلفه كان بأمر النبي حتى يمرض زوجته رقية بنت رسول الله، وقد أعطاه النبي من غنائم بدر، لأن تخلفه كان بعذر.

3 - أنه غاب عن بيعة الرضوان، يقول ابن عمر: (وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذه يد عثمان"). والمعنى أن بيعة الرضوان إنما جرت للانتقام لعثمان، لأن النبي بعثه ليفاوض قریش، فحبسته قریش وأشيع أنه قتل، فطلب النبي من الصحابة البيعة على القتال، ووضع يده في يده الأخرى وقال "هذه يد عثمان"، فكيف يكون ذلك منقصة في حق عثمان!!!.

القسم الثالث: أمور هي من قبيل الأخطاء المغفورة أو المغفورة ببحر حسناته، وهي أمر واحد هو:

أنه فر يوم أحد، يقول ابن عمر: (وأما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر، كما قال تبارك وتعالى: "إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلیم").

القسم الرابع: أمور هي من قبيل الاجتهاد الذي يكون المصيب فيه مأجورا أجرين والمخطئ فيه مأجورا أجرا واحدا وهي:

1- أنه ولي أقاربه الوظائف والولايات العليا بغير حق محاباة منه لهم، فاستعمل: معاوية، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، والوليد بن عقبة، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن عامر، خاصة أن بعض هؤلاء مطعون فيه، فعبد الله بن سعد سبق له أن ارتد وأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه، والوليد بن عقبة سماه الله في القرآن فاسقا في الآية: "يا أيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا"، فلما ولاه الكوفة شرب الخمر وشهد عليه أهلها فجلده عثمان ثم عزله.

والرد على هذا المأخذ في النقاط التالية:

أ - إن رجال بني أمية كانوا كثيرين وكانوا أكفاء، ولذا اعتمد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في الولايات والوظائف أكثر من غيرهم، فاستعمل منهم خمسة، في حين أن عدد الولاة من أقارب عثمان في عهده كانوا أقل من غيرهم، فعدد ولاته من غير أقاربه بلغ عددهم ستة عشر واليا. قال ابن تيمية: (لا تعرف قبيلة من قبائل قریش فيها عمال لرسول الله أكثر من بني أمية؛ لأنهم كانوا كثيرين، وفيهم شرف وسؤدد).

ب - لم يتولوا كلهم في وقت واحد، وعندما توفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة.

ج - إن عزل عثمان لمن عزل من أقاربه لم يكن لسوء أو مطعن فيهم، بل لسوء المدينة التي ولوا عليها، ونقص الكوفة، وقد سبق لأهلها أن شكوا زورا على سعد بن أبي وقاص زمن عمر فعزله، وعزل ابن مسعود، وعزل عثمان عنها أبو موسى، فهي المدينة الساخنة التي لا ترضى بالولاة، المدينة التي قتلت علي والحسين بعد ذلك، أما عزل عثمان للوليد

بن عقبة عنها بعد أن جلده لشهادة أهل الكوفة عليه بشرب الخمر، فنقول: واقعنا الجلد والعزل حصلتا، وقد ثبت ذلك بسند صحيح، وأما كون الشاهدان قد صدقا في شهادتهما فهو أمر قد شكك فيه العلماء المحققون، حيث اعتبروا الأمر كيدا وانتقاما منهم للوليد بن عقبة؛ لأنه عاقب بحق ابن وجيه من وجهائهم، ولم يقبل شفاعتهم فيه، ثم هل يكون ما فعله عثمان في حق الوليد مطعنا في عثمان؟، الحق أنه يجب أن يكون حسنة له لأنه جلد الوليد وعزله ولم يحابه لقرابته.

د - إن علي بن أبي طالب في عهد خلافته ولى أقارمه، ولم ينقم عليه أحد، بالرغم من أن ولاية عثمان من أقاربه أفضل من ولاية علي من أقاربه، باستثناء عبد الله بن العباس.

هـ - إن عثمان كان يظن عندما ولى من ولى من أقاربه أنهم أكفاء يستحقون الولاية، ولم يولهم لمجرد أنهم أقاربه محابة لهم، وإن ما يثبت كفاءتهم هو أن نستعرض سيرتهم وأعمالهم وأقوال العلماء عنهم:

= فالأول: هو معاوية بن أبي سفيان، وهو من خير الولاية من الصحابة، والدليل أن النبي قد اعتمد عليه فكان من كتبة الوحي، كما اعتمد عليه أبو بكر فخرج في عهده مع أخيه يزيد الذي كان قائدا لجند دمشق، واعتمد عليه عمر فولاه الشام ومكث فيها مدة خلافة عمر، ثم أقره عليها عثمان، كما أن أهل الشام يحبونه حبا شديدا، وقد جاء في الحديث الصحيح: "خيار أئمتكم من تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم".

= والثاني: هو عبد الله بن سعد بن أبي السرح، وقد كان ارتد وأهدر النبي دمه، لكنه رجع وتاب وقبل النبي شفاعته عثمان فيه، كما أنه فاتح إفريقية، قال عنه الذهبي: (لم يتعد، ولا فعل ما ينقم عليه بعد أن أسلم عام الفتح، وكان أحد عقلاء الرجال وأجوادهم).

= والثالث: هو سعيد بن العاص، من خيار الصحابة، قال عنه الذهبي: (كان أميرا شريفا جوادا، ممدوحا، حليما، وقورا، ذا حزم، يصلح للخلافة).

= والرابع: هو عبد الله بن عامر بن كريز، انتهى فتح بلاد كسرى على يديه، وهو من فتح خراسان، وسجستان، وكرمان، قال عنه الذهبي: (كان من كبار ملوك العرب وشجعانهم، وأجوادهم).

= والخامس: هو الوليد بن عقبة، استعمله النبي على على صدقات بني المصطلق، فلما انطلق نحوهم وجدهم قد قدموا عليه، فخاف ورجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: (إنهم أرادوا قتلي)، فغضب النبي منهم، وأرسل خالد لقتالهم، فأنزل الله الآية: "يأيها الذين ءامنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا"، فتثبت النبي وسألهم فقالوا: (لم نأت لنقاتل، وإنما جننا بصدقاتنا لما تأخر علينا الوليد)، ونزول الآية فيه، لا يلزم منه أنه فاسق؛ لأن الله هنا إنما يعطي حكما عاما لكل من جاء بخبر، يعني كأنه يقول للمسلمين، افترضوا عندما تسمعون خبرا أن ناقله فاسق، فلا تصدقوه حتى تتبينوا حقيقة الأمر. ثم إن افتضنا أن الوليد بذلك قد فسق، فهل يبقى فاسقا أبد الدهر أليس له توبة؟.

2- أنه زاد في الحمى عما كان عليه أيام عمر، والمقصود بالحمى هو أن يقوم الحاكم بتخصيص قطعة من الأرض لمصلحة عامة، وقد كان الحمى في الجاهلية للمصالح الخاصة، فقصره النبي صلى الله عليه وسلم على المصالح العامة فقال: "لا حمى إلا لله ورسوله" ومعنى الله: أي للمصلحة العامة، وقد حمى النبي لأبل الصدقة، وخيل الجهاد، وكذا فعل أبو بكر، فلما كان عهد عمر زادت إبل الصدقة فزاد عمر في مساحة الرض المحمية لها، وكذا فعل عثمان في عهده، فاعترضوا عليه، وقد قال لهم: (إن عمر حمى الحمى قبلي لأبل الصدقة، فلما وليت زادت غبل الصدقة، فزدت في الحمى)، فهو إذا أمر اجتهادي وسلطة تقديرية جعلها الله للحاكم، ولا ينبغي أن يأخذ عليه.

3- أنه زاد الأذان الثاني يوم الجمعة، والرد على ذلك بالآتي:

أ - قرار زيادة الأذان الثاني يوم الجمعة تم بمشورة بين الصحابة وبالاتفاق فيما بينهم، ولم ينفرد به عثمان.

ب - هو اجتهد ووجه قوي دليله القياس على زيادة الشارع الأذان الأول في صلاة الفجر، والعلة في الاثنين واحدة، وهي تنبيه الغافل عن الصلاة بسبب النوم في الفجر، وتنبيه الغافل عن الصلاة بسبب الاشتغال بالعمل في السوق في الجمعة.

ج - استمر العمل به بعد عهد عثمان، إلى يومنا هذا بغير نكير أو خلاف، وعمل به علي في عهده، فهو سنة بإجماع المسلمين، وهي من سنن الخلفاء الراشدين التي أمرنا باتباعها، ففي الحديث: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي".

4- أنه أتم في صلاة السفر فصلاها أربعة ركعات بدل ركعتين، والرد على ذلك بالآتي:

أ - أكثر أهل العلم على أن القصر في الصلاة سنة مستحبة، وفعل عثمان بالانتماء ليس سوى ترك المستحب فقط، أو ترك الرخصة وإتيان العزيمة، وهذا جائز.

ب - أما لماذا أتم؟ فمن قائل من العلماء: أنه تزوج امرأة من مكة فأصبح بذلك مقيما لا مسافرا فأتى، ومن قائل: أنه إنما أتم حتى لا يظن الحجيج من الأعراب أن أصل الصلاة ركعتان، فيرجعوا إلى بلادهم فيصلونها ركعتين بدل الأربع ركعات، فهنا عثمان اجتهد وتناول في مسألة اجتهادية، وهب أنه أخطأ في اجتهاده فكان ماذا؟ فهل يبيح ذلك دمه؟!.

وقد أتمت عائشة صلاتها في السفر، فالوا لعروة: ماذا أرادت عائشة؟، قال: تأولت كما تأول عثمان.

5 - أنه لم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان، فبعد أن قتل أبو لؤلؤة المجوسي عمر، قال عبد الرحمن بن أبي بكر: (قد مررت على أبي لؤلؤة قاتل عمر ومعه جفينة والهرمزان، وهم يتناجون، فلما بغتهم، قاموا، فسقط من بينهم خنجر له رأسان..... فانظروا ما الخنجر الذي قتل به عمر)، فوجدوه نفس الخنجر، فلما سمع عبيد الله بذلك انطلق إلى الهرمزان فضره بالسيف، فلما وجد الهرمزان حر السيف قال: (لا إله إلا الله)، ثم انطلق إلى جفينة وكان من نصارى الحيرة فقتله، وأراد عبيد الله ألا يدع سببا في المدينة إلا قتله، فاعترضه المهاجرون من الصحابة ونهوه عن ذلك وتوعده حتى كف.

فلما استخلف عثمان جمع أهل الرأي والمشورة من المهاجرين والأنصار، وشاورهم في شأن عبيد الله، فكان رأيهم ورأيهم أن يقتل؛ لقتله رجلا مسلما في الظاهر وهو الهرمزان، ولكن كان رأي جمهور الناس معارضا لقتله، وقال الناس: (لعلكم تريدون أن تتبعوا عمر ابنه؟!)، وكثر الاختلاف واللغط، فقال عمرو بن العاص لعثمان مشيرا عليه ليخرج من ذلك الأمر بتدبير لا يؤدي إلى شق عصا المسلمين والفتنة، قال: (إن هذا الأمر قد كان قبل أن يكون لك على الناس سلطان، فأعرض عنهم)، فتوقف عثمان عن قتله، ودفع دية القتلى.

وقد علل العلماء تصرف عثمان هذا بثلاثة تعليقات هي:

أ - أنه اعتبر أن القتل قد وقع بحق لاتفاق الهرمزان مع أبي لؤلؤة وجفنة على قتل عمر، لشهادة عبد الرحمن السالفة.

ب - أن عبيد الله كان متاولا مجتهدا لما قتلها لانه غلب على ظنه اشتراكهما في المؤامرة لشهادة عبد الرحمن، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل أسامة لما قتل مشركا بعد نطق بالشهادتين، فلامه النبي لكنه لم يقتله به؛ لأنه كان متاولا.

ج - أن الهرمزان لم يكن له ولي، فيكون الخليفة وليه، وعثمان قد عفا وقبل الدية، وله ذلك؛ لأنه الوليد.

د - وقيل إنه كان للهرمزان ولدا يقال له: القامذبان، وأنه تنازل عن دم عبيد الله بن عمر.

مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه

لما اكتمل التحريض على عثمان وولاته، وغلت قلوب الناس عليه، قرر اتباع عبد الله بن سبأ ومن تآثر بهم أن يخرجوا إلى المدينة لعزل عثمان، مستغلين موسم الحج، وكان ذلك في السنة 35هـ، فخرجوا فرادى من بلادهم، وكانوا فرسان قبائلهم، خرجوا من مصر والكوفة والبصرة، ثم اجتمعوا لما اقتربوا من المدينة ودخلوها جيشاً، لا يقل عدد أفرادهم عن ألفي رجل ولا يزيدون عن ستة آلاف على اختلاف الروايات، وحاصروا بيت عثمان، وطلبوا منه خلع نفسه عن الخلافة، ومنعوه من الخروج إلى الصلاة، وفي مرحلة متقدمة من الحصار منعوا عنه الماء، كل ذلك والصحابة وأبناءؤهم يحاولون الدفاع عن عثمان لكن عثمان يرفض أن يقتتل أحد بسببه، حتى أن المحاصرين لما تسوروا عليه بيته في آخر الأمر وتقدموا منه ليخبروه بين عزل نفسه أو القتل، أراد عبيده ان يدافعوا عنه وأشهروا سيوفهم، قال لهم عثمان: (كل من وضع سلاحه فهو حر لوجه الله تعالى)، وقال قبل ذلك لآخرين من المسلمين أرادوا الدفاع عنه: (أعزم على كل من رأى أن عليه سمعا وطاعة إلا كف يده وسلاحه)، وجاءه زيد بن ثابت في كوكبة من مقاتلي الأنصار، ودخل عليه وقال له: (هذه الأنصار بالباب، قالوا: إن شئت أن نكون أنصار الله مرتين كما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نكون معك) فقال عثمان: (أما قتال فلا)، وجلس في بيته ليدافع عنه بعض الصحابة وشهروا سيوفهم في وجه المحاصرين منهم: الحسن، والحسين، وابن الزبير، وأبو هريرة، وابن عمر ومحمد ابن طلحة، بل جاءه سبعمائة من الصحابة وأبناءؤهم، فرد ومنع الجميع من القتال دفاعاً عنه، ومع ذلك قاتل أربعة من شبان قریش دفاعاً عنه، وحملوا جرحى من داره، ومنهم: الحسن بن علي، وعبد الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، ومحمد بن حاطب، ولذلك قال بعض العلماء تعليقا على موقفه هذا الذي يدل على شجاعته، وعلى رحمته بأهل المدينة أن ينالهم السوء بسببه، واعتذارا عن الصحابة في عدم قتالهم: (إن الصحابة براء من دمه بأجمعهم، لأنهم أتوا إرادته وسلموا له رأيه في إسلام نفسه)، فلم يكن امتناعهم إذا عن القتال خوفا من أهل الفتنة لأنهم أقل عدداً، أو لاعتقادهم أن الأمر لن يصل إلى قتل الخليفة كما علل البعض.

جاءت أم المؤمنين صفية على بغلة يقودها مولاها كنانة، فلقبها الأشر، فضرب وجهه بغلتها، فقالت: (ردوني، لا يفضحني هذا الكلب).

دخل عبد الله بن عمر على عثمان وهو محاصر، فقال عثمان: (يا ابن عمر، انظر ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلعها، ولا تقتل نفسك فقال ابن عمر: فلا أرى أن تخلع قميصاً قمصكه الله، فتكون سنة، كلما كره قوم خليفتهم أو إمامهم خلعه).

لما حاصر عثمان في داره منع من الصلاة فسار يصلي بالناس رجل من أئمة الفتنة، فدخل عبيد الله بن عدي بن الخيار على عثمان، يسأله عن الصلاة خلف إمام الفتنة؟ ويقول له: فما تأمرنا؟، قال عثمان: (الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا احسن الناس فاحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم).

تسور أهل الفتنة في آخر الأمر البيت على عثمان وقتلوه لما رفض خلع نفسه، وقطر دمه الشريف على مصحفه الذي كان يقرأ فيه، وقد سئل الحسن البصري: أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار؟، فقال: (كانوا أعلاجاً من أهل مصر). والمشهور ان من باشر قتله رجل مصري يقال له: جبلة. وقد ثبت بسند صحيح: أنه ما مات رجل من قتلة عثمان رضي الله عنه سوياً.

بيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وتولييه الخلافة

ذكر محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب أنه بعد مقتل عثمان رضي الله عنهما، أتى الناس عليا، فضربوا عليه الباب، فقالوا: " إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدا أحق بها منك "، فقال لهم علي: " لا تريدوني، فإني لكم وزير خير لكم مني أمير "، فقالوا: " لا والله، لا نعلم أحدا أحق بها منك "، قال: " فإن أبيتم علي، فإن بيعتي لا تكون سرا، ولكن أخرج إلى المسجد، فمن شاء أن يبايعني بايعني "، فخرج إلى المسجد، فبايعه الناس، وبايعه جميع المهاجرين والأنصار في المدينة، إلا ما كان من أهل الشام، فقد رفضوا بيعته، ولكن هذا لا يمنع انعقاد الخلافة له؛ لأن الشورى ملزمة بنتائجها، يعني العبرة فيها برأى الأغلبية، وأغلبية المسلمين قد بايعوه البيعة الخاصة والعامة، ولذلك أجمع علماء أهل السنة والجماعة على أن من توقف فيبيعة علي بالخلافة، يعني قال: علي لم تتعقد له خلافة، فهو ضال مبتدع، وليس من أهل السنة والجماعة، قال ابن تيمية: " المنصوص عند أحمد بن حنبل بتدبير من توقف في خلافة علي، وقال: هو أضل من حمار أهله، وأمر بهجرانه "، وقال الحسن البصري ردا على من اعترض على خلافة علي وإمامته: " قتل أمير المؤمنين، مظلوما، فعمد الناس إلى خيرهم فبايعوه، فمن يتبع؟! ".

وغني عن البيان أن نقول: إن تضليل وتبديع من أنكر خلافة علي لا ينطبق على معاوية ومن تبعه من الصحابة والتابعين في عصر الحدث؛ وذلك لأن الأمور عندها كانت مشتبهة، والأدلة على الحق ناقصة أو غائبة، فاجتهد من أنكر بحسب ما علم، فهو معذور عند الله وعند الناس، أما من جاء بعدهم من أجيال المسلمين، فقد وصلتهم الروايات الصحيحة عما حدث، وتبينت لهم الأمور، وتميز الحق من الباطل، فلا عذر لأحد عندها في إنكار انعقاد الخلافة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب.

وقيل: إنه تخلف عنبيعة علي بن أبي طالب بعض الصحابة؛ كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة وغيرهم، والصواب المشهور: أنه إنما تخلف هؤلاء عن القتال معه، أما البيعة بالخلافة، فقد بايعوه.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سطور

اسمه ونسبه:

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وزوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين، وأبو السبطين الحسين والحسين عليهما السلام، وأمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم، وهو أول هاشمي يولد من هاشمية.

كنيته:

أبو الحسن، وكناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي تراب.

إسلامه:

هو أول الصبيان إسلاما بإجماع أهل العلم، أسلم وعمره ثماني سنين.

من أزواجه:

1- فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كما أسلفنا.

2- وأيضا تزوج من أمامة بنت أبي العاص، وأمامة هذه هي حفيدة رسول الله ابنة زينب، شقيقة فاطمة، فهو رضي الله عنه تزوج الخالة فاطمة، ثم لما ماتت تزوج ابنة شقيقتها.

3- ومنهن أيضا أسماء بنت عميس التي تزوجها جعفر شقيقه، ثم أبو بكر، ثم علي، وكلهم أنجب منها، ولذلك تربي محمد بن أبي بكر ابن أسماء هذه في بيت علي بن أبي طالب، وكان من شيعته، وولاه ولاية مصر.

أولاده:

أنجب رضي الله عنه عددا كبيرا من الأولاد ذكورا وإناثا، ويلفت نظرنا منهم على وجه الخصوص:

1- حفيدا رسول الله صلى الله عليه وسلم السبطان الحسن والحسين.

2- وأيضا من أولاده من سماهم بأسماء كبار الصحابة، فله ولد اسمه: أبو بكر، وآخر اسمه عمر، وثالث اسمه عثمان، وهذا الواقع التاريخي يكذب ما تدعيه الشيعة الرافضة من أن العداء والكراهية كانتا تسودان العلاقة بين علي وهؤلاء الصحابة وغيرهم.

3- كما أن من بناته: أم كلثوم، وهي التي زوجها لعمر بن الخطاب، وأنجبت له زيد ورقية، وفي تلك الواقعة أيضا عين ما في الواقعة السالفة من دلالة.

فضائله:

أولا: الفضائل الخاصة به لفظا لا حالا، فالحال الواقع يشهد اشتراك غيره معه في الوصف فيما سنذكر من مكرمات وصفه الشارع بها مفردا، فلا يفهم أحد من ذلك أنه يختص بها دون غيره من الصحابة، لأن القاعدة تقول: "إن الاختصاص (لفظا) بالمكرمة لا يعني نفيها عن الغير (حالا وواقعا)"، ومن ذلك:

1- إفراد الشارع له بمحبته لله ومحبة الله له، في حديث: "لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله"، فهذا الإفراد باللفظ لا يعني أنه في الواقع ينفرد ويختص بتلك المحبة دون غيره من الصحابة وعموم المؤمنين؛ لأن الله يقول: "الذين آمنوا أشد حبا لله"، ويقول: "يحبهم ويحبونه"، وإنما يفهم منه فقط؛ تكريمه رضي الله عنه، وبيان فضله ليس إلا.

2- جاء في الحديث في شأن علي: "لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا كافر"، وقد جاء مثله عن عموم الأنصار، ففي الحديث: "حب الأنصار من الإيمان، وبغض الأنصار من النفاق"، وجاء في قوله تعالى عن عموم الصحابة: "ليغيظ بهم الكفار"، حتى أفتى الإمام مالك بكفر كل من غاظه صحابي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مستدلا بهذه الآية.

3 - وجاء في الحديث: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"، وقد جاء النص بأفضل من ذلك في حق أبي بكر وعمر، فقد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر قائلا له: "إن مثلك كمثلي إبراهيم..... ومثلك كمثلي عيسى"، وقال مخاطبا عمر: "يا عمر، إن مثلك مثل نوح..... ومثلك مثل موسى"، ولا شك أن مقام رسل الله عليهم السلام المذكورين آفا أعلى من مقام نبي الله هارون عليه السلام.

4 - وجاء في الحديث: "من كنت مولاه فعلي مولاه"، أي من كان حبيبي وناصري، فليكن علي حبيبه وناصره، وهذا أيضا لا ينفرد به علي دون الصحابة والمؤمنين، قال تعالى: "إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا"، وقال أيضا: "وإن تظاهروا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير".

ثانيا: فضائله مع آل البيت، ومنها:

1- جاء في الحديث: "أيها الناس إنني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر"، فذكر كتاب الله، وحض عليه، ثم قال: "وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي"، قيل لزيد بن أرقم راوي الحديث: (ومن أهل بيته يا زيد؟، أليس نسأوه من أهل بيته؟) قال: (نسأوه من أهل بيته، ولكن أهل بيته (أيضا): من حرم الصدقة بعده)؛ قال: (ومن هم؟)، قال: (هم آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل عباس)، قيل لزيد: (أكل هؤلاء حرم الصدقة؟) قال: (نعم).

2- جاء في حديث الكساء التي ترويه عائشة قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة، وعليه مرط مرحل، وأدخل عليا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، ثم قال: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" وقال: "هؤلاء أهل بيتي"، وقوله: "هؤلاء أهل بيتي" لم يرد به النبي صلى الله عليه وسلم انحصار آلية البيت في هؤلاء، وإن كان هو ظاهر اللفظ، لأن ذلك ينافي ما أثبتته النصوص المحكمة، كحديث زيد بن أرقم المتقدم، فوجب هنا تاويل اللفظ عن ظاهره لتحقيق الانسجام بين النصوص، وردا للمتشابه على المحكم، كما هي منهجية الفهم الصحيحة، ويكون المعنى المراد بحديث الكساء هو: هؤلاء من أهل بيتي، لا أن هؤلاء هم كل أهل بيتي. وبذلك يظهر بطلان فهم الرافضة للحديث.

المرط: بالكسر، كساء من صوف، أو خز، أو كتان، يؤتزر به، وقيل: هو الثوب، وقيل: هو كل ثوب غير مخيط. ويستخدمه الرجال والنساء، داخل البيت وخارجه.

المرحل: اسم مفعول، ومعناه: أن عليه صورة رحل الإبل، أو أنه: الثوب الذي فيه خطوط.

ثالثا: فضائله العامة أي مع عموم الصحابة، ومنها:

1- جاء في الحديث: "اسكن حراء، فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيد"، وكان علي بن أبي طالب أحد الصحابة الواقفين عليه وقتها.

2- جاء في الحديث الذي يرويه سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: " عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وأبو عبيدة في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة، وسعد في الجنة، وصاحبكم في الجنة ".

3- جاء في الحديث: " خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ". قال النووي: " الصحيح أن قرنه صلى الله عليه وسلم: الصحابة، والثاني: التابعون، والثالث: تابعوهم ".

رابعاً: ما تميز به علي وبز به أقرانه، يعني لم يفعله أحد سواه، ومنه:

1- ما فعله يوم الخندق، عندما خرج لمبارزة عمرو بن عبد ود الذي ما بارز أحداً إلا قُتل، ولم يكن أحد يجروء على نزاله، فتقدم إليه علي بن أبي طالب، وقال له: " يا عمرو، لقد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى أحد خلتين إلا أخذتها منه "، فقال له: " أجل "، قال علي: " فإني أدعوك إلى النزال "، قال له: " لم يا ابن أخي؟، فوالله ما أحب أن أقتلك "، قال علي: " لكني والله أحب أن أقتلك "، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا، فقتله علي.

2- ما فعله يوم خيبر، عندما خرج لمبارزة مرحب اليهودي.

أهم الأحداث في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

1- موقف علي بن أبي طالب الاجتهادي من قتلة عثمان:

يمكن تلخيص موقف علي بن أبي طالب من قتلة عثمان الذي أداه إليه اجتهاده بالآتي:

أ - لم يكن علي يعرف قتلة عثمان على وجه التحديد، لكنه كان يعرف أن أعداد الساخطين على عثمان والراضين بقتله في الأمصار الثلاثة: مصر، والبصرة، والكوفة، كثيرة، فالذين حضروا إلى المدينة منهم كانوا فرسان قبائلهم، ومعنى ذلك أن الواحد منهم إذا غضب غضبت لغضبه مئات بل ألوف، خاصة بعد علمه أنه قد جرى تزوير رسائل باسمه وباسم كبار الصحابة وجهت لأهل الأمصار تدعوهم إلى الثورة على عثمان، زد على ذلك أن الأمن في المدينة لم يكن قد استتب بعد، والفتنة ما زالت قائمة، والخطر على أرواح الناس في المدينة وأموالهم وأعراضهم كبير.

ب - لذلك رأى مجتهداً أنه لا يجوز له شرعاً والحال كذلك، أن يقتص فوراً من قتلة عثمان، لأنه نظر في مآلات الأمور بحسب الظرف القائم، فوجد أن مفسدة تعجيل القصاص منهم أكبر بكثير من مفسدة تأخيرهم، ولذا حكم بتأخيرهم فقط، لا أنه لا يريد أن يقتص منهم، ثم من يقول أنه يقدر أصلاً على الاقتصاص منهم، وهم بهذه القوة لكثرة الأتباع، وهل يأمن أن لا يقتلوه، وقد قتلوه في آخر الأمر كما سيأتي، والدليل على صعوبة قتلهم وعظم مفسدته، هو أن معاوية نفسه وهو أشد المتحمسين للقصاص العاجل من القتل، لم يقدم في فترة حكمه على قتلهم كلهم، بالرغم من امتداد فترة حكمه لعشرين سنة، ولم يقتل آخرهم إلا في عهد عبد الملك بن مروان على يد الحجاج، فعلي رضي الله عنه كان في ظرف لم يعلم بحقيقته من خالفه في اجتهاده هذا.

ج - ولعل علياً في اجتهاده هذا قد تأسى باجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم، عندما ترك قتل رأس المنافقين في المدينة، عبد الله بن أبي بن سلول - وكان من الخزرج - بالرغم من كثرة موافقه التي يستحق بسببها أن يعاقب بالقتل، ومنها طعنه في عرض أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك المشهورة، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في المسلمين قائلاً: "من يعذرني في رجل وصل أذاه إلى أهلي"، فقام سعد بن معاذ - وهو من الأوس - فقال: "أنا أعذرک منه يا رسول الله، إن كان منا معشر الأوس قتلناه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بقتله"، فقام سعد بن عباد، فرد على سعد بن معاذ، وقام أسيد بن حضير فرد على سعد بن عباد، فصار النبي يخفضهم، وعلم أن لعبد الله عند الخزرج منزلة عظيمة، ومما يدل على ذلك أنه استطاع قبل ذلك أن يؤثر على ثلث جيش المسلمين في أحد ويرجع بهم إلى المدينة، فجده إذا لقفه عائشة أو قتله سيحمل مفسدة أعظم من ترك جلده أو قتله، فلذا تركه صلى الله عليه وسلم.

2- معركة الجمل التي حصلت بكيد السبنيين برغم الصلح ولم يقاتل فيها الصحابة سنة (36هـ):

بايع طلحة والزبير علياً بالخلافة، ثم توجهوا إلى مكة حيث عائشة التي ما إن علمت بمقتل عثمان، حتى استاءت، فلما اجتمعت بهما وتباحثوا في أمر قتل عثمان، ووفد عليهم يعلى بن منية من البصرة، وعبد الله بن عامر من الكوفة، قرر الجميع الخروج بمن بايعهم في مكة نحو البصرة للأخذ بثأر عثمان من قتلته، يدفعهم شعورهم بالتقصير في نصرة الخليفة المظلوم عثمان، كما أن لهم اجتهداً يخالف اجتهاد علي، فهم يرون وجوب التعجيل بالقصاص من قتلة عثمان، مع اعترافهم بخلافة علي، وعدم طعنهم به، فهم قد بايعوه، وهم لم يخرجوا لقتاله كما يدعي الشيعة الرافضة، بل خرجوا متوجهين نحو البصرة لقتال قتلة عثمان، وعلي وقتها كان في المدينة، ولو أرادوا قتاله لتوجهوا نحو المدينة، ونحن نقول في تقييم اجتهادهم أنهم قد أخطأوا؛ لأنه لا يجوز لهم تنفيذ القصاص بأحد دون إذن من الخليفة الشرعي، إذ إنه المختص الموكل بذلك شرعاً.

وصل جيش طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، فأرسل إليهم واليها عثمان بن حنيف: ماذا تريدون؟، قالوا: نريد قتلة عثمان، فقال لهم: حتى يأتي علي، ومنعهم من دخول البصرة. لكن جبلة - وهو أحد قتلة عثمان - خرج إليهم في 700 رجل

فقاتلهم فانتصروا عليه، وانضم إليهم كثير من أهل البصرة، فصار عدد الجيش 5000 أو 6000 مقاتل، وسمع علي بخبر القتال الذي جرى، فحشد 10000 مقاتل، وخرج من المدينة متوجها إلى العراق لقتالهم، **وعلي في موقفه هذا مصيب؛ لأنه يريد المحافظة على أمن المجتمع ووحدته، واستعادة هيبة الدولة، كما أنه مطلع على واقع غاب عنهم.**

مفاوضات الصلح التي جرت بين الفريقين ومن الذي أفشلها؟

أرسل علي إلى جيش البصرة اثنان من الصحابة للصلح، وهما المقداد بن الأسود والقعقاع بن عمرو، فالتقيا مع طلحة والزبير، وحصل الصلح بين الفريقين، بعد أن وضع كل منهما وجهة نظره للآخر، ولكن ذلك لم يرق للسبئيين الذي كانوا مع علي في جيش الكوفة، فهم لا يريدون للفتنة التي أوقدوا نارها أن تنتهي، بل يريدون مزيدا من الدماء، وبخاصة دماء الصحابة رضي الله عنهم، ليتعمق الخلاف ويتجذر، حتى يصبح شرخا يقسم الأمة ويشردمها، فقاموا وقت السحر وهاجموا جيش البصرة، وقتلوا منهم، ثم فروا، فظن جيش البصرة أن جيش الكوفة قد غدروا بهم، فبدأت المناوشات بين الطرفين، واستمرت حتى الظهيرة، ثم اشتعلت المعركة بينهما.

محاولات الصحابة في الجيشين وقف القتال دون جدوى:

لم يقاتل كبار الصحابة في الجيشين، وإنما صار همهم وقف القتال، بل إن منهم من قتل كطلحة والزبير، ومنهم من استهدف بالقتل ونجا بأعجوبة كعائشة، فطلحة يقول لهم: " أتتصتون؟ "، ولا مجيب، فقال: " أف أف فراش نار، وذبان طمع "، ويأتيه سهم بالخطأ من معسكر جيشه فيقتله، والمشهور أن رامي السهم مروان بن الحكم، ويترصد ابن جرموز من جيش الكوفة بالزبير بن العوام الذي لم يشارك بالقتال، فيقتله غدرا وغيلة، وعائشة ترسل كعب بن سور بالمصحف لوقف المعركة، فيقتله السبئيون، يقول ابن تيمية: " فصار الأكابر رضي الله عنهم عاجزين عن إطفاء الفتنة، وكف أهلها، وهذا شأن الفتن كما قال تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)"، وحمي القتال حول جمل عائشة، وصار السبئيون يستهدفون هودج عائشة بالنبال لقتلها، وجيشها يستमितون في الدفاع عنها، فأرسل علي من يقطع قوائم جمل عائشة لينفذها من القتال، ففعلوا وبرك الجمل، وعندها توقف القتال، وكان الوقت قد شارف على الغروب، والحال أنه قد انتصر جيش علي، لكن الحقيقة أن المسلمين كلهم خسروا، وكسب السبئيون.

حزن علي والصحابة في الجيشين على ما جرى:

مر علي على القتلى، فوجد طلحة فأجلسه، ومسح التراب عن وجهه، وقال: " عزيز علي أن أراك مجندلا تحت نجوم السماء أبا محمد "، وبكى، ثم قال: " وددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة ".

ورأى محمد بن طلحة - الملقب بالسجاد لكثرة عبادته - بين القتلى، فبكى.

ودخل ابن جرموز على علي بسيف الزبير وهو يقول: " قتلت الزبير، قتلت الزبير "، فلما سمعه علي قال: " إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "، ثم قال: " بشر قاتل ابن صفية بالنار "، ولم يأذن له بالدخول عليه.

وأرسل علي أم المؤمنين عائشة إلى المدينة معززة مكرمة، تنفيذا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها، إذا كان قد قال له: " سيكون بينك وبين عائشة أمر "، قال علي: " فأنا أشقاهم يا رسول الله "، قال: " لا، ولكن إذا كان ذلك، فاردها إلى مأمنها "، وقد فعل.

3- معركة صفين مع البغاة سنة (36هـ):

اجتهد على وقرر بعد انتهاء معركة الجمل أن يتوجه نحو الشام لعزل معاوية عن الشام، وحمله على مبايعته، ليستتب الأمن في الدولة الإسلامية، ويتوحد المسلمون، ثم ينظر بعدها في أمر قتلة عثمان، وكان موقف معاوية الاجتهادي هو أن **على علي أولا أن يعجل بالقصاص من قتلة عثمان، وألا يؤخر ذلك، أو يسلمهم له باعتباره ولي الدم، ومعاوية مع ذلك لم**

يكن يرى أنه أفضل من علي، أو ينكر أحقيته بالخلافة، ولم يكن يقصد من نزاعه معه منافسته على الخلافة، بل كان يريد منه أن ينفذ القصاص في القتلة فوراً، حتى ينتقم لابن عمه عثمان، وحتى يطمئن إلى استقلال قرار الخليفة، وعدم هيمنة السبئيين وأتباعهم عليه، وذلك قبل أن ينصاع لقراره بعزله عن ولاية الشام، التي تشتمل على نصف القوة الإسلامية تقريباً، وهي قوة لم يستطع عبد الله بن سبأ اختراق تماسكها أو التأثير فيها، فكان معاوية يريد أن تبقى كذلك، وقد كان أشيع في الشام بين الناس - وليس عند معاوية - أن علياً قد رضي بقتل عثمان، لقرائن هي:

1- عدم قتله قتلة عثمان.

2 - معركة الجمل.

3 - تركه المدينة وسكنه بالكوفة التي هي معقل القتلة.

4 - في جيشه من هو متهم بقتل عثمان.

ومما يدل موقف معاوية هذا: أن أبا مسلم الخولاني دخل على معاوية وقال له: " أنت تنازع علياً، أنت مثله؟! " ، فقال معاوية: " لا والله، إني لأعلم أن علياً أفضل وأحق بالأمر، ولكن، أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً؟، وأنا ابن عمه، وأنا أطلب بدمه، فأتوا علياً، فقولوا له فليدفع إلي قتلة عثمان، وأسلم له الأمور " . لكن علياً لم يقبل.

ويدل له أيضاً: أن معاوية في التحكيم قال لعلي عند كتابة صك الصلح: " لا تكتب أمير المؤمنين، لو بايعتك على أنك أمير المؤمنين، ما قاتلتك، ولكن اسمك واسمي فقط "، ثم التفت إلى الكاتب، وقال: " اكتب اسمه قبل اسمي لفضله وسابقته في الإسلام " .

ثم إن علياً أيضاً كان مجتهداً فيما فعل، فعن قيس بن عباد قال: " قلت لعلي، أخبرنا عن مسيرك هذا، أعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم رأي رأيته؟ "، قال: " ما عهد إلى رسول الله شيئاً، ولكنه رأي رأيته " .

وعند الموازنة بين الموقفين لمعرفة الحق منهما، نقول: إن علياً قد انعقدت له الخلافة شرعاً ببيعة الأغلبية له، وأصبح له بذلك حق الطاعة على معاوية وغيره، وكونه يؤجل القصاص من قتلة عثمان أو يعجله فهذا أمر يعود إليه يجتهد فيه لمصلحة المسلمين، ولا يجوز استحلال قتاله لاختياره التأجيل مجتهداً متأولاً، أو لكونه عاجزاً عن ذلك، بل حتى لو كان قادراً وتركه مذنباً لم يجز لهم قتاله، لأن ترك قتاله ومبايعته والدخول في طاعته هو الأصلح في الدين والأمن للمسلمين كما يقول ابن تيمية، ولذلك نرجح ما ذهب إليه جمهور علماء أهل السنة والجماعة من أن الحق كان مع علي لا مع معاوية في صفين، كما كان معه في معركة الجمل أيضاً.

ومع هذا التصويب لموقف علي فالعلماء متفقون على عدم جواز الطعن في أصحاب المواقف المرجوحة من الصحابة، بل نقول: اجتهدوا فأخطأوا، واجتهد علي فأصاب رضي الله عنهم جميعاً.

كما أن العلماء متفقون على ترك الكلام في ما جرى بينهم إلا لضرورة، فقد قيل للإمام أحمد بن حنبل: " حديث: " تقتلك الفئة الباغية "؟، قال: لا أتكلم فيه، تركه أسلم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلتة - أي عمار - الفئة الباغية، وسكت " .

سير المعركة:

خرج علي بجيش قوامه 100000 مقاتل من أهل العراق، كما جهز معاوية للقائه جيشاً من أهل الشام قوامه 70000 مقاتل، وكان استشار علي أهل العراق فقال لهم: " إن معاوية قد نهى إليكم في أهل الشام، فما الرأي؟ "، فارتفعت أصواتهم كل له رأي يقوله، فلم يفهم علي كلامهم من كثرة من تكلم، فنزل وهو يقول: " إنا لله وإنا إليه راجعون "، فكان أهل العراق

أهل فوضى وشقاق، أما معاوية لما استشار أهل الشام في الأمر، قام إليه ذو الكلاع الحميري فقال: " عليك الرأي وعلينا الفعّال "، والناس سكوت، فكان أهل الشام أهل طاعة واتفاق وجلد.

احتدم القتال بين الجيشين حتى كادت الغلبة أن تكون لجيش العراق على جيش الشام، فلما رأى جيش الشام الكفة تميل لصالح جيش العراق رفعوا المصاحف على الرماح وطلبوا التحكيم، فاستجاب علي للتحكيم، وبعث أبا موسى الأشعري ليفاوض عنه، وبعث معاوية عمرو بن العاص، وحصل الاتفاق على وقف القتال، وبقاء الأمور على حالها؛ علي خليفة في العراق، ومعاوية وال في الشام، وعلى أن يؤجل التحكيم إلى رمضان. هذا هو ما أفادته الروايات الصحيحة لواقعة التحكيم.

لكن ثمة روايات كاذبة للتحكيم رواها أبو مخنف الكذاب، وللأسف هي الروايات المشهورة المتداولة حتى في المناهج المدرسية، وتقول هذه الروايات: إن عمرو بن العاص خدع أبا موسى واتفق معه على أن يعزل كل واحد منهما صاحبه أمام المسلمين، فصعد أبو موسى المنبر وقال: " أنا أنزع عليا من الخلافة كما أنزع خاتمي هذا "، ثم نزع خاتمه، وقام عمرو بن العاص وقال: " وأنا أنزع عليا كذلك، كما نزع أبو موسى، وكما أنزع خاتمي هذا، وأثبت معاوية كما أثبت خاتمي هذا "، فكثر اللغط، وخرج أبو موسى غاضبا، ورجع إلى مكة، ولم يذهب إلى علي في الكوفة، ورجع عمرو بن العاص إلى الشام.

وهذه الروايات: مكذوبة لا تثبت، وهي معارضة بالروايات الصحيحة كما بينا، وليس فيها ما تذكره هذه الروايات، وأيضا نقول إن عزل خليفة المسلمين لا يجوز ولا يتم بهذه الطريقة في شرع الإسلام، وهل يملك أبو موسى وعمرو - وعلى زعم اتفاقهما - أن يعزلاه بهذه السهولة!!!.

بقي أن نقول إن فريقا رابعا من الصحابة كان له موقف اجتهادي يخالف موقف علي وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية، وهو الفريق الذي اعتزل الجميع ولم يشارك في أي قتال حصل، وهؤلاء كانوا أغلبية الصحابة، وقد بلغ عددهم 10000 صحابي، حيث بايعوا عليا، لكنهم لم يخرجوا معه لقتال أحد، واعتزلوا الجميع.

4- معركة النهروان مع الخوارج سنة (38هـ):

رجع علي إلى الكوفة بعد صفين، فخرج عليه طائفة من شيعته، وسموا بعد ذلك بالخوارج، وكان عددهم 8000، اعترضوا عليه أمرين:

الأول: أنه قبل التحكيم، وحكم في دين الله الرجال بزعمهم، وبدعوا يشغبون عليه في المسجد، فكان يقوم بعضهم ثم يبدؤون بالصياح قائلين: " لا حكم إلا لله، لا حكم إلا لله "، فيجيبهم علي: " كلمة حق أريد بها باطل ".

الثاني: أنه أجاب طلب معاوية عندما طلب منه أن يمحو وصف أمير المؤمنين من أمام اسمه في صك اتفاقية التحكيم، واعتبروا أنه بذلك عزل نفسه عن الخلافة، وقالوا له: " انسلخت من قميص ألبسكه الله تعالى، واسم سماك الله تعالى به ".

فلما أحس منهم علي الجهل والحدة والتشدد في هذه الأمور، استشرف أنهم سيلجأون إلى العنف، فتعامل معهم بطريقة فيها حكمة كبيرة تتكون من أربعة عناصر، وهي طريقة مثلى للتعامل مع الخوارج وأهل الغلو في كل عصر، أما عناصرها الأربعة فهي:

1- العدل:

وتمثل في أنه لم يمنعهم من الصلاة في المساجد، ولا منعهم منابرها، فلم حرية العبادة والكلام، كما أنه لم يمنعهم روايتهم التي كانوا يأخذونها من الدولة الإسلامية، وقال لهم في مرحلة متقدمة بعد أن رحلوا عن الكوفة وسكنوا مكانا قريبا منها هو حروراء، قال لهم: " بيننا وبينكم ألا تسفكوا دما حراما، أو تقطعوا سبيلا، أو تظلموا ذمة، فإنكم إن فعلتم، فقد نبذنا

إليكم الحرب على سواء، إن الله لا يحب الخائنين"، أي أنه أعلمهم أنه لن يستخدم القوة في حقهم إلا إذا اعتدوا على المواطنين مسلمين أو ذمة.

2- تحصين المجتمع المسلم من شبهاتهم عن طريق التوعية بالفكر الإسلامي الصحيح:

فقد روي أنه: " أمر مؤذنا، فأذن، ألا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن، فلما امتلأت الدار من قراء الناس، دعا بمصحف إمام عظيم، فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده، ويقول: أيها المصحف، حدث الناس، فناداه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه؟، إنما هو مداد في ورق، ونحن نتكلم بما رويناه منه، فماذا تريد؟، قال: أصحابكم هؤلاء، الذين خرجوا، بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: (وإن خفتن شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما)، فأمة محمد أعظم دما وحرمة من امرأة ورجل، ونقموا علي أن كاتبت معاوية: " كتب علي بن أبي طالب "، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية، حين صالح قومه قريشا، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بسم الله الرحمن الرحيم "، فقال سهيل: " لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم "، فقال: " كيف نكتب؟ "، فقال: " اكتب باسمك اللهم "، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فاكتب محمد رسول الله "، فقال: " لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك "، فكتب: " هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشا "، يقول الله تعالى في كتابه: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة).

3- الحوار الفكري مع الخوارج لإزالة الشبهات المضلة، وإعطائهم الفهم الصحيح للإسلام:

فبعد أن خرجوا من الكوفة إلى حروراء بعث إليهم علي عبد الله بن عباس حبر الأمة ليناقتشهم في آرائهم، ويبين لهم خطأها وخطورتها، فلما وصلهم قام رجل اسمه ابن الكواء وكفر ابن عباس، ودعا الخوارج إلى عدم النقاش معه، فرفض خطابهم رأي ابن الكواء ووافقوا على مناقشته، فلما ناقشهم ثلاثة أيام تاب منهم 4000 منهم ابن الكواء، وسار بهم ابن عباس حتى أدخلهم الكوفة، وبذلك عصمت دماؤهم مما كان سيلحق بها من قتل في معركة النهروان، كما أضعف ذلك قوة الخوارج، وبالتالي سهل مهمة الجيش الإسلامي في الانتصار عليهم، فتوفرت النفقات والجهود والدماء بالحوار.

4- استعمال القوة في حق المعتدين منهم:

لم يستعمل علي معهم القوة والحل الأمني إلا بعد أن قطعوا الطريق وسفكوا دماء المسلمين وأهل الذمة، حيث قتلوا الصحابي الجليل عبد الله بن خباب، وقتلوا زوجته، وبقروا بطنها، وكانت حاملا متممة في شهرها، فلما بلغ عليا ذلك، أرسل إليهم: " من قتله؟ "، فردوا عليه: " كلنا قتلناه "، فخرج علي إليهم بجيش قوامه 10000 مقاتل، وقاتلهم بالنهروان، وكان عددهم ألفا، ولم ينج منهم إلا عدد قليل.

وإذا كان اعتراض علي لجيش البصرة في معركة الجمل، وكذا قتاله لمعاوية في صفين، باجتهاد اجتهده، فإن قتاله للخوارج في النهروان كان تنفيذا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم، بعد إخباره بظهورهم في مستقبل الأيام، وإخباره بصفاتهم، ولذلك بعد انتهاء المعركة شرع علي بالبحث بين القتلى عن شخص وصفه له النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث، وذلك ليطمئن قلبه على سلامة موقفه من الخوارج، وسلامة موقفه أيضا في خلافه مع الصحابة، فوجد ضالته عندما عثر على قتيل بينهم يقال له: (المخدج ذو النديّة)، وكان قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه من الفرقة التي تخرج على حين اختلاف بين المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق، فلما وجده سجد لله شكرا وقال: " صدق الله ورسوله "، إذ علم أنه على الحق، وهذا هو فهم جمهور علماء السنة للأمر كما أسلفنا من أن عليا كان على الحق في اجتهاده في كل ما فعل، وأن غيره كان مخطئا، وهو ما نرجحه.

ويرى بعض العلماء - ويوافقهم الشيخ عثمان الخميس خلافا لجمهور علماء السنة - أن هذا الحديث يدل على أن الحق كان مع علي بن أبي طالب في قتاله للخوارج فقط، أما في قتاله لغيرهم من الصحابة فلم يكن مصيبا، بل المصيب هم الصحابة الذين اعتزلوا الجميع ولم يشاركوا في القتال، وهم الأغلبية كما قلنا.

1- ووجه استدلاله منه أن النبي في الحديث لم يقل أن عليا كان على الحق كله، بل قال أقرب أو أولى بالحق، فهو كان أقرب إلى الحق من فريقي الجمل وصفين، لكنه لم يكن على الحق، أما الذي كان على الحق كله، فهو الفريق الرابع الذي اعتزل الجميع فلم يقاتل.

2- ويستدل أيضا بحزن علي على نتائج معركتي الجمل وصفين وندمه، في حين أنه فرح بنتائج معركة النهروان.

3- كما يستدل بأن النبي صلى الله عليه وسلم أثنى على الحسن للصلح الذي جرى على يديه فقال: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين من المسلمين"، ولم يثن علي على لأنه قاتلهم، بل أثنى عليه لقتاله الخوارج فقط.

4- وقد أورد الشيخ عثمان عبارة تقوي موقف علي وتضعف موقف المعتزلين وهي قول الطبري: "لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهروب منه بلزوم المنازل، لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل الفسوق سبيلا إلى ارتكاب المحرمات"، ورد الشيخ على الطبري بقوله: "قلت: هذا كلام صحيح إذا تبين الأمر، ولكن إذا كانت الأمور مشتبهة لزم الابتعاد، فلذلك تخلف الكثير عن المشاركة في هذه المعركة"، وقال الشيخ عثمان في موضع آخر: "وسبب هذه الاختلافات أن الأمور كانت مشتبهة، والوقت كان وقت فتنة، ولذلك لم يستطع أحد أن يتدبر ذلك الأمر، ويتبين حقيقته بوضوح".

والرد على ما أورده الشيخ عثمان بالآتي:

1- إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن عمار أنه: "تقتله الفئة الباغية"، ومعلوم أن عمار كان في جيش العراق مع علي، فيكون هذا الحديث تأكيدا لأمرين: الأول أن عليا هو الخليفة الشرعي وقتها، وأنه كان على الحق في موقفه الاجتهادي الذي اتخذه من الأحداث، لأنه لو لم يكن كذلك لما سمى النبي صلى الله عليه وسلم مخالفه بالباغاة. الأمر الثاني: أن مخالف علي رضي الله عنه كانوا مخطئين في موقفهم الاجتهادي بدلالة تسميتهم بالباغاة. ثم إن هذا الحديث يدل أن عليا لم يكن فقط أقرب إلى الحق كما فهم الشيخ عثمان، بل كان على الحق كله، لأنه إذا كان خصمه باغيا، فإن عليا في موقفه منه ما تعدى أمر الله في التعامل مع البغاة في قوله تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين"، وعلى ما قاتل حتى جاءه رفض أمره وهو الخليفة لمعاوية وأهل الشام بتسليم الأمور والدخول في الطاعة، فالباغاة رفضوا تبريد الصراع بالصلح، فماذا كان علي علي أن يفعل حينها؟ الآية تقول له وللمسلمين كلهم قاتلوا الباغي ليرجع عن بغيه، فهل تعدى على ذلك؟، بالطبع لم يفعل، فكيف والحال كذلك لا يكون علي على الحق كله؟!!!.

2- أما استخدام النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الخوارج تعبير: "أقرب الطائفتين إلى الحق" و"أولى الطائفتين بالحق"، فليس من أجل أن نفهم منه أن عليا لم يكن على الحق كله، لأن هذا الأمر حسمته الآية السالفة، ولكن كان ذلك حتى نفهم أن الموقف الاجتهادي لمن خالف عليا وبخاصة معاوية كان قويا في مستنداته الشرعية إلى الدرجة التي يمكن وصفه بأن فيه من الحق الكثير، لكن موقف علي أحق منه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لنا إن اختلافهم كان من جنس الاختلاف المستساغ؛ وذلك لأن الأمور كانت مشتبهة على معاوية ومن عنده لبعده عن مسرح الأحداث، وعدم علمه بالظرف الذي يعايشه علي، أما الصورة الواضحة فكانت عند علي، والاشتباه عند مخالفه، وقد كان على مخالفه أن يستمعوا له أو يتوقفوا، وحسنا فعل من توقف لولا أن موقفه يتناقض مع نفسه، ذلك أن من توقفوا كانوا قد بايعوا عليا، ومعنى ذلك أن له عليهم واجب الطاعة في المنشط والمكره، لكنهم بتوقفهم لم يطيعوا أمره بالخروج معه لقتال البغاة عليه، فوقعوا في التناقض، وأخطأوا، ولذا فقد نقل عن بعضهم ندمه على عدم قتاله مع علي بعد أن انجلت الوقائع وبان له صوابية موقف علي رضي الله عنه، والخلاصة، أن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث كأنه يريد منا ألا نسن السنة حدادا على معاوية ومن كان معه في موقفهم الاجتهادي، وقتالهم لعلي، فهم مسلمين كما سماهم في الحديث، وقريبين في موقفهم من الحق لكن على أقرب لأنه على الحق كله.

3- وأما أن عليا حزن يوم الجمل، ويوم صفين، وفرح يوم النهروان، فهذا شيء موافق للشرع، ولا مستند فيه على أنه على الحق إن فرح، وعلى الباطل إن حزن، فأَي مؤمن يفرح بقتل مؤمن وإن كان خصمه؟!، فحزنه لا ينافي كونهم على الباطل، وكونه على الحق، بل حزن لأن الخصم المبطل مسلم، ولأنه قاتل مكرها، فهم بموقفهم الجؤوه لقتالهم، ثم هو في الجمل لم يقاتل أصلا بل كان يدعو إلى وقف القتال، وحتى فرحه يوم النهروان فإنه لم يكن لقتل الخوارج، وإنما كان لتيقنه من صواب موقفه في خلافه مع خصومه؛ لأنه علم أنه المقصود بأقرب الطائفتين إلى الحق، ولذلك سجد لله شكرا، والمؤمن لا يفرح بقتل الناس ولو كانوا كفارا، بل يتأسف على ذلك ويتمنى لو كانوا اهتدوا إلى الحق عوضا عن أن يقتلوا على يديه في موقعة صراع بين حق وباطل.

4- أما ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على الحسن للصلح وعدم ثنائه على علي، فهل أكثر ثناء على علي من أن يوافق فعله ما جاء في آية البغاة، وهل قصر علي في السعي للصلح، ألم يصلح في الجمل؟، ألم يعرض على معاوية تبريد الصراع والدخول في الطاعة؟ ثم لما رفع جيش الشام المصاحف ودعا للتحكيم ألم يقبل التحكيم؟، ألم ينته التحكيم بالصلح قبل أن يؤكد الحسن في عصره؟ ثم من يقول أن عليا والحال هذه لم يوص الحسن بإتمام ما بدأه من صلح في التحكيم خاصة أنه ترك قتال معاوية بعد التحكيم إلى أن توفاه الله؟ ثم إن الظرف في عصر علي ليس هو الظرف في عصر الحسن، ولا ينكر تغير الأحكام بتغير الأحوال والأزمان.

5- أما رده على عبارة الطبري فنقول له أيضا كلامك صحيح بأنه: (إذا كانت الأمور مشتبهة لزم الابتعاد) لكننا نكمل العبارة بالتالي: (...لزم الابتعاد على من اشتبهت عليه الأمور، أما من تبينت له الأمور حقها من باطلها فكيف يسعه الابتعاد ولزوم المنازل؟)، وهل يمكن تغيير المنكر إلا بمواجهة معه، أما التخويف باشتباه الأمور والفتنة، فمن غلب على ظنه أنه على الحق بمنهج نظر شرعي صحيح فليس بمفتون ولو كان في قلب عاصفة الصراع، وهو معذور وإن أخطأ في اجتهاده في واقع الأمر، وأما من يرى أن الأمور قد اشتبهت عليه فلا حرج عليه إن لزم المنازل وكسر سيفه وقعد عليه، وهو معذور وإن أخطأ في اجتهاده في واقع الأمر، ولذلك فإننا أمرنا أن نترضى على جميع الصحابة، وأن نواليهم وأن نحبههم، وأن نعتقد عدالتهم بالرغم من مواقفهم الاجتهادية المختلفة من أحداث الفتنة.

مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة (40هـ)

هدأت الأمور بعد النهروان سنتين، ثم إن ثلاثة من الخوارج اجتمعوا في مكة، وقرروا قتل ثلاث شخصيات من كبار الصحابة، تقربا إلى الله بزعمهم، وليريحوا العباد منهم، واتفقوا أن يكون ذلك في 17 رمضان:

فتوجه عبد الرحمن بن ملجم إلى الكوفة، وطعن عليا بخنجر مسموم، فقال علي للحسن والحسين: "إن أنا شفيت، فأنا حجيجي، وإن أنا مت فاقتلاه بي"، فلما مات قطعوا يدي عبد الرحمن بن ملجم فلم يجزع، ولما أرادوا قطع لسانه خاف، قالوا: الآن؟ قال: "إنني أخاف أن أعيش فترة لا أذكر الله فيها"، فانظر إلى تدينه الشاذ، إذ كيف جمع بين هذا الحرص على ذكر الله، وشكليات العبادة، وبين الاستهانة في دماء أئمة العلم والدين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو دين الخوارج في كل عصر، التساهل في تكفير المسلمين وسفك دمائهم لأقل شبهة.

وتوجه البرك التميمي إلى معاوية في الشام، فضربه في قفاه، فأصابه، ولكنه لم يقتله، وقيل أنه قطع نسله، ثم أخذ البرك وقتل.

وتوجه عمرو بن بكر التميمي إلى عمرو بن العاص في مصر، وكان عمرو مريضا تلك الليلة فلم يخرج لإمامة صلاة الفجر، وناب عنه خارجة بن أبي حبيب، فضرب عمرو بن بكر خارجة ظانا أنه عمرو فقتله، فلما علم أنه لم يقتل عمرا قال: "أردت عمرا وأراد الله خارجة"، ثم أخذ وقتل.

موقف أهل السنة من عبد الرحمن بن ملجم، وقتلة عثمان، وقاتل الزبير، وقتلة الحسين:

قال الإمام الذهبي: "نرجو لهم النار، ونجوز أن الله يتجاوز عنهم، فكل هؤلاء نبرأ منهم، ونبغضهم في الله، ونكل أمورهم إلى الله تبارك وتعالى".

تولي الحسن بن علي رضي الله عنه الخلافة بعد مقتل أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سنة (40هـ)

بعد مقتل علي بن أبي طالب بايع أهل الكوفة الحسن بن علي بالخلافة، فانعقدت له الخلافة، فهو الخليفة الراشد الخامس، واستمرت خلافته ستة أشهر، وبحساب مدة خلافته تكتمل الخلافة الراشدة التي أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أنها ثلاثون سنة، وأنها رحمة.

الحسن بن علي رضي الله عنهما في سطور

أزواجه وأولاده:

كان الحسن رضي الله عنه كثير الزواج كثير الطلاق، ومن زوجاته أم إسحاق بنت طلحة، فكيف يتزوج الحسن بابنة عدو أبيه طلحة كما يزعم الرافضة؟

كما أن من أبنائه من أسماه بأسماء كبار الصحابة المفترض أنهم أعداء أبيه علي، فمن أبنائه: طلحة، وأبو بكر، وعبد الرحمن وعمر.

فضائله:

1- حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين"، ولا يعجب هذا الحديث الرافضة لأنه يثبت فضلا للحسن بتنازله عن الخلافة لمعاوية، بل وينقمون على الحسن ويسمون به (مذل المؤمنين)، فالنبي يمدحه وهم يذمونه.

2- وعن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه والحسن، ويقول: "اللهم إني أحبهما فأحبهما".

3- وعن عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر رضي الله عنه، وحمل الحسن وهو يقول: "بأبي، شبيه بالنبي ليس شبيهه بعلي"، وعلي يضحك.

الحسن يصالح معاوية، ويتنازل له عن الخلافة، ويجمع شمل المسلمين:

خرج الحسن بن علي بجيش العراق متوجها نحو الشام، لكنه لم يكن يريد القتال، بل كان يريد ويضمر الصلح، ويدل على ذلك أنه عزل عن قيادة الجيش قيس بن سعد بن عبادة، وهو رجل حرب وقتال، وعين مكانه عبدالله بن عباس، وهو رجل علم وحوار، كما أن الحسن كان معارضا لخروج أبيه في عصر خلافته لقتال معاوية وجيش الشام.

وقد كان عدد جيش الحسن كبيرا حتى قال عمرو بن العاص: "أرى كتيبة لا تولي حتى تدبر آخرها"، وقد كان معاوية بدوره يريد الصلح ولا يريد القتال، ولذلك لما أشار عليه عمرو بن العاص بالقتال قائلا: "بل نقاتله"، رد عليه: "على رسلك يا أبا عبد الله، فإنك لا تخلص من قتل هؤلاء حتى يقتل عددهم من أهل الشام، فما خير الحياة بعد ذلك؟!، وإني والله لا أقاتل حتى لا أجد من القتال بدا".

وأرسل معاوية إلى الحسن سجلا قد ختم في أسفله: "اكتب فيه ما تريد فهو لك"، والتقى معاوية بالحسن، وتنازل الحسن لمعاوية بالخلافة، فأصبح معاوية أميرا للمؤمنين، وسمي هذا العام عام الجماعة.

وفاته سنة 49هـ أثناء خلافة معاوية:

توفي الحسن رضي الله عنه بالسم، كما أخبر هو بنفسه عندما قال لمن عاده وهو يحتضر: "وإني سقيت السم مرارا، فلم أسق مثل هذا"، وسأله الحسين عن سقاه؟ فقال: "لم ؟ أتقتله؟"، قال: "نعم"، قال: "ما أنا بمحدثك شيئا، إن يك

صاحبي الذي أظن، فإله أشد نعمة، وإلا فوالله لا يقتل بي بريء"، وقيل إن التي سقته السم زوجته جعدة بنت الأشعث، ولكنه لم يثبت، قال ابن كثير: "وعندي أن هذا ليس بصحيح".

خلافة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

معاوية بن أبي سفيان في سطور

إسلامه:

أسلم عام 7 هـ سرا في عمرة القضاء، قبل أن يسلم أبوه، فلما كان عام الفتح أعلن إسلامه.

فضائله:

1- دعا له النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: "اللهم اجعله هاديا مهديا، واهد به".

2- وفي مناسبة أخرى دعا له أيضا قائلا: "اللهم علم معاوية الكتاب، والحساب، وقه العذاب".

3- رأى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه أن أناسا من أمته يركبون البحر ويغزون فيه، فطلبت أم حرام بنت ملحان زوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهما منه أن يدعو لها بأن تكون منهم، فقال لها: "أنت من الأولين"، فخرجت هي وزوجها في خلافة معاوية في أول غزوة للبحرية الإسلامية، وقال المهلب بن احمد الأندلسي أحد شراح البخاري تعليقا على هذا الخبر: "في هذا الحديث منقبة لمعاوية، لأنه أول من غزا البحر".

4- سئل ابن المبارك عن معاوية؟ فقال: "ماذا أقول في رجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سمع الله لمن حمده"، فقال معاوية: "ربنا ولك الحمد". وقيل لابن المبارك: "أيهما أفضل هو أم عمر بن عبد العزيز؟"، فقال: "لتراب في منخري معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز".

5- وسئل المعافى بن عمران: "أيهما أفضل معاوية أم عمر بن عبد العزيز؟"، فغضب، وقال للسائل: "أتجعل رجلا من الصحابة مثل رجل من التابعين، معاوية صاحبه، وصهره، وكاتبه، وأمينه على وحيه".

6- وقال ابن أبي مليكة: "قيل لابن عباس: "هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنه ما أوتر إلا بواحدة؟"، فقال: "إنه فقيه".

7- قال ابن كثير: "وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد اخشاه وأذله وقهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم انشغال معاوية بحرب علي، تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: "والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين، لأصطلحن أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيّقن عليك الأرض بما رحبت"، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة".

وصف عهده رضي الله عنه:

يمكن أن نصف عهد معاوية بعهد الفتوحات والاستقرار، ففيه استؤنفت الفتوحات التي كانت قد توقفت طيلة عهد علي بن أبي طالب بسبب الفتنة، وأيضا في عهده انقطع طمع الأعداء بالمسلمين، بعد أن اجتمعت كلمة المسلمين على رجل واحد، واستطاع معاوية بسياسته وحكمته أن يقرب البعيد من الرعية، حتى لم يبق له مخالف أو معارض في عصره، إلا عدد قليل من الخوارج، كما اشتهر في عهده ما يسمى بالصوائف والشواتي، وهي غزو الشتاء وغزو الصيف.

أهم الأحداث في خلافة معاوية رضي الله عنه

الغزوات والفتوح وما يتعلق بهما:

- 1- إقامة دار لصناعة السفن في مصر سنة (54هـ).
- 2- غزو القسطنطينية مرتين سنة (50هـ) وسنة (54هـ)، وفي الثانية حاصرها ثلاث سنوات، وفي الحديث: "أول جيش من امتي يغزون البحر قد أوجبوا، وأول جيش من امتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم".
- 3- فتح تكريت، وروُدس، وبنزرت، وسوسة، وسجستان، وقوهستان، وبلاد السند.
- 4- بناء القيروان، وبنائها قائد عتبة بن نافع، وكان موضعها غابة كثيفة فيها سباع وحيات، فدعا عتبة الله عليها، فلم يبق شيء منها في الغابة إلا خرج وهرب.

البيعة الخاصة لولده يزيد سنة (56هـ) وبها انتقل الحكم الإسلامي من الخلافة إلى الملك:

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر في الحديث أن: "خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء"، وأخبر أيضا: "أول دينكم نبوة ورحمة، ثم ملك ورحمة، ثم ملك أعفر، ثم ملك وجبروت"، فالنبوة هي عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والرحمة هي عهد الخلفاء الراشدين الربعة وخلافة الحسن، وأما الملك والرحمة، فهو عهد معاوية، وأما الملك الأعفر، وهو من التعفير أي الالتصاق بالتراب، وهو ذم له، فبيدأ من عهد يزيد ويمتد ليشمل الدولة الأموية والعباسية، والعثمانية، وأما الملك والجبروت فهو الحكم من سقوط الخلافة إلى يومنا الحاضر.

وإنما سمي النبي عهد معاوية بالملك؛ لأن معاوية في عهده ابتدع شيئا جديدا خالف فيه السنة وهو: ترشيح ابنه يزيد للخلافة، أو بعبارة أخرى أخذ البيعة الخاصة له من المسلمين، وهذا لم يعهد قبله، فلم يرشح أحد من الخلفاء الراشدين ابنه للخلافة من بعده، فعمر جعل ابنه عبد الله مع أهل الشورى ليبين للناس أنه أهل للخلافة، لكنه ليس أحد المرشحين لها، فما فعله معاوية ليس بصواب لأنه فتح الباب - وإن لم يقصد ذلك - للوراثة لتكون طريقا لاختيار الحاكم بدلا من الشورى.

أضف إلى ذلك أن في المسلمين من هو أفضل من يزيد من حيث انطباق شروط الخلافة عليه؛ كالحسين، وعبد الله بن الزبير، وابن عباس، وابن عمر، وهم صحابة، ويزيد تابعي، وهذا مأخذ ثان على ما فعله معاوية كما قال علماء أهل السنة، لكن خلافة يزيد مع ذلك كما يرى علماء أهل السنة والجماعة انعقدت شرعية، مادام المسلمون بايعوه بيعة خاصة في حياة معاوية، ثم بايعوه بيعة عامة بعد وفاة أبيه، فانعقدت له الخلافة باختيار المسلمين له ورضاهم به، وإن شاب ترشيحه ما شاب.

قال ابن العربي: "إن معاوية ترك الأفضل في أن يجعلها شورى وألا يخص فيها أحدا من قرابته، فكيف ولده؟!، وإنه عقد البيعة لابنه، وبايعه الناس، فانعقدت شرعا".

أما الشيعة فهم لا يعيرون بيعة يزيد فقط، بل بيعة كل الخلفاء الذين سبقوه ما خلا علي والحسن، لأنهم يعتقدون أن الخلافة نص من الله، ولا تكون إلا في علي وبنيه، وهو ما يعرف بعقيدة الولاية والوصاية عندهم.

لماذا اختار معاوية يزيدا للخلافة، خاصة وأنه يعلم أن في المسلمين من هو أفضل منه، هل فعل ذلك مدفوعا بعاطفة الأبوة، لأنه يزيد ابنه؟، وهل حقا يقدم صحابي عدل كمعاوية على هذا الفعل قاصدا أن يحول الحكم الشوري إلى وراثي؟

إن ذلك لا يظن بصحابي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمعاوية لم يرشح يزيدا لعاطفة أبوة، أو لأنه يقصد أن يحول الحكم إلى وراثته، بل آل الأمر إلى ذلك بفعل غيره لا بفعله، وتوضيحا لذلك نقول: إن معاوية إنما اختار يزيدا لا لأنه الأفضل من حيث شخصه، بل لأنه الأفضل بالنسبة للطرف الذي فيه المسلمون، أو ما سماه علماء الإسلام برجل الوقت، فمعاوية بما لديه من معلومات عن الفتنة التي جرت في عهد عثمان ومن أوقدها، وكيف اخترق هؤلاء أهل العراق ومصر، وأصبح لهم أتباع كثير، حتى أنهم احتلوا مصر وطرّدوا واليها، واحتلوا المدينة، وحاصروا الخليفة، وقتلوه، ثم اندسوا بين شيعة علي، وانتهى الأمر بأن قتلوا عددا من كبار الصحابة، وقتلوا عليا آخر الأمر، كما حاولوا قتله وقتل عمرو بن العاص، وحاولوا قتل الحسن، ثم لما تولى هو وأراد قتل قتلة عثمان أدرك صعوبة الأمر، لشدة تغلغلهم في الناس وتأثيرهم فيهم، ولم يستطع إلا أن يقتل بعضهم وهو الخليفة المسيطر، وعندها أدرك أن حجم اختراقهم للمسلمين كبير، وخاصة بين أهل العراق، وأنه لو ترك الأمر لاختيار المسلمين فسيختارون الحسين، والمشكلة ليست في الحسين، ولكن في شيعة أبيه المخترقة بالسبئيين، وأن ذلك لو حصل فسيكون وبالا على أمة الإسلام، وأما أهل الشام فهم القوة الإسلامية الوحيدة التي لم يستطع هؤلاء اختراقها، وقد أبقاها معاوية في فترة حكمه كذلك، ولحرصه أن يبقى الأمر كذلك، وأن يبقى السبئيون بعيدين عن نفوذ السلطة لكي لا يفسدوا حال المسلمين أكثر مما أفسدوا، فإنه قرر ترشيح ابنه يزيد، الذي يطمئن أن حكمه سيقوم على الحذر منهم، وإبعادهم دائما عن مواقع التأثير، فيزيد إذا رجل الوقت، ولذا نقل الشيخ عثمان تعليل ذلك كما قاله بعض العلماء: " ولعله عدل عن الوجه الأفضل، لما كان يتوجس من الفتنة والشر، إذا جعلها شورى، وقد رأى الطاعة والأمن والاستقرار في الجانب الذي فيه ابنه يزيد "

هل كان يزيد أهلا للخلافة أم لا؟

لقد أشاع السبئيون ومن تابعهم زورا وبهتانا أن يزيدا لا يصلح للخلافة لأنه فاسق، وأن سبب فسقه أنه لا يصلي، وأنه يشرب الخمر، وأنه يلاعب القردة وخلافه، لكن هذا كله لم يثبت بسند صحيح، فلا يجوز تصديقه، والأصل في الإنسان براءة الذمة والسلامة، حتى يثبت خلافه، ولم يثبت في حق يزيد شيء من ذلك فيبقى على الأصل.

وقد جاء مجموعة من هؤلاء إلى محمد بن الحنفية - وهم عبد الله بن مطيع وأصحابه - يريدون منه أن يخرج على يزيد وأن يخلعه عن الخلافة، فأبى عليهم، فقالوا له: " إن يزيد بن معاوية يشرب الخمر، وترك الصلاة "، فقال محمد: " ما رأيتم منه ما تذكرون، وقد حضرته، وأقمت عنده، فرأيت مواعظا على الصلاة، متحريرا للخير، يسأل عن الفقه، ملازما للسنة "، قالوا: " إن ذلك كان منه تصنعا لك "، قال محمد ابن الحنفية: " ما الذي خافه مني أو رجاه؟!، أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟، فلئن أطلعكم على ذلك، إنكم لشركاؤه، وإن لم يطلعكم، فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا "، قالوا: " إنه عندنا لحق، وإن لم نكن رأيناه "، قال محمد ابن الحنفية: " أبى الله على أهل الشهادة "، ثم قرأ عليهم قول الحق تبارك وتعالى: (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون).

مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في بداية عهد يزيد

البيعة ليزيد ورفض الحسين المبايعة:

بوع ليزيد بالخلافة البيعة العامة بعد وفاة معاوية فانعقدت له الخلافة، وأصبح الخليفة الشرعي للمسلمين، لكن اثنين من الصحابة - وكانا في المدينة - رفضا أن يبايعاه، وهما:

1- عبد الله بن الزبير: الذي قال بعد طلب البيعة منه: " أنظر هذه الليلة واخبركم رأيي "، فلما كان الليل تسلل هاربا إلى مكة ولم يبايع.

2- الحسين بن علي: الذي قال بعد طلب البيعة منه: " إني لا أبايع سرا، ولكن أبايع جهرا بين الناس "، فلما كان الليل تسلل هاربا إلى مكة ولم يبايع.

أهل الكوفة يبعثون الكتب إلى الحسين يبايعونه فيها بالخلافة:

بعد أن علم أهل الكوفة أن الحسين لم يبايع، وكانوا هم قد بايعوا يزيدا، أرسلوا إلى الحسين أكثر من خمسمائة كتاب، يدعونه فيها إلى القدوم إليهم، وأنهم يبايعونه خليفة بدلا من يزيد.

الحسين يرسل ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليتوثق من صدق الكتب:

وهذا التصرف من الحسين يشير إلى عدم ثقته بشيعة أبيه من أهل الكوفة بسبب المواقف التي حصلت منهم مع أبيه وأخيه، ولما وصل مسلم إلى الكوفة نزل عند هاني بن عروة، وصار يسأل الناس فيخبرونه بانهم لا يريدون إلا الحسين، ويبايعونه على ذلك جماعات وأفرادا، حتى إن والي الكوفة وهو النعمان بن بشير غض الطرف عما يجري، وكأنه لا يعلم بشيء، وعندها أرسل مسلم إلى الحسين برسالة يقول له فيها: " أن أقدم، فإن الأمر قد تهيأ ".

قيام بعض حاشية النعمان بن بشير بالخروج إلى يزيد وإبلاغه بما يجري في الكوفة:

وعندها عزل يزيد النعمان بن بشير عن ولاية الكوفة، وبعث إلى واليه على البصرة عبيد الله بن زياد يأمره بالمسير إلى الكوفة واليا عليها مع البصرة، وأمره بمعالجة هذا الأمر قبل استفحاله، فقدم عبيد الله إلى الكوفة ليلا وصار يمر على الناس وهو ملثم ويسلم عليهم، فكانوا يظنونهم الحسين فيجيبونه: " وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله "، فأدرك عبيد الله أن الأمر خطير، وأن الناس ينتظرون قدوم الحسين.

عبيد الله بن زياد يبدأ بجمع المعلومات الاستخبارية عن مخطط الحسين في الكوفة كاملا بتفاصيله العملية:

قام عبيد الله بإرسال جاسوس من قبله اسمه معقل وهو رجل من حمص، ليندس بين رجال مسلم بن عقيل ويحصل على المعلومات المتعلقة بالأمر كاملة، وزوده بثلاثة آلاف دينار ليدفعها لمسلم حتى يطمئن له، فصار يسأل عن دار هاني بن عروة، حتى دل عليها، وأنجز مهمته.

عبيد الله يقبض على هاني بن عروة، ومحاولة مسلم بن عقيل تخليصه، وخذلان أهل الكوفة لمسلم وتسليمه لعبيد

الله:

أرسل عبيد الله لهاني من قبض عليه وجاءه به، فقال له عبيد الله سائلا: " أين مسلم بن عقيل؟ "، قال: " لا أدري "، فأمر عبيد الله بإحضار معقل الحمصي، فلما دخل معقل ورآه هاني، أدرك الخدعة التي وقع فيها، فقال له عبيد الله مرة

أخرى : " أين مسلم بن عقيل؟ "، فقال هاني متحديا: " والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها "، فضربه عبيد الله، ثم أمر بحبسه.

علم مسلم بالقبض على هاني فقرر تخليصه من الأسر والسيطرة على دار الإمارة، فاستنهض أهل الكوفة الذين بايعوا الحسين للهجوم على دار الإمارة، فاجتمع عنده أربعة آلاف مقاتل، وتوجه بهم نحو عبيد الله بن زياد، وحاصر بهم دار الإمارة، لكن عبيد الله كان مجتمعاً في قصره وقتها مع أشرف الكوفة؛ ليثنيهم عن بيعه الحسين، فقال لهم: " خذلوا الناس عن مسلم بن عقيل "، ووعدهم بالمال، وخوفهم من جيش الشام، فصاروا يخذلون الجند الذين مع مسلم عن نصرته، ويحضونهم على الانسحاب، وشيئاً فشيئاً وجد مسلم نفسه يحاصر القصر وحيداً، فقد جاء أهل الكوفة وأخذوا أبناءهم وإخوانهم وأتباعهم من حوله، وكان المساء قد بدأ بالدخول، فهرب مسلم مخذولاً جائعاً عطشاً، لا يدري أين يذهب، وطرق الباب على بيت امرأة من كندة، فسألته عن حاجته، فشكا لها حاله وطلب الماء، فأدخلته بيتاً مجاوراً، وأرسلت له الماء والطعام مع ابن لها، ثم ذهب ولدها هذا وأبلغ عنه عبيد الله بن زياد، فأرسل له عبيد الله سبعين رجلاً حاصروا البيت الذي هو فيه، واستسلم لهم لما أمنوه.

عبيد الله يحقق مع مسلم ويأمر بقتله، ومسلم يرسل إلى الحسين رسالته الثانية والأخيرة بعدم القدوم إلى الكوفة:

لما أدخل مسلم على عبيد الله أسيراً، سأله عبيد الله عن سبب خروجه على يزيد؟، فقال مسلم: " بيعة في أعناقنا للحسين بن علي "، فقال عبيد الله: " أوليست في عنقك بيعة ليزيد؟ "، ثم قال له: " إني قاتلك "، قال مسلم: " دعني أوصي "، قال عبيد الله: " نعم "، فنظر مسلم حوله فوجد عمر بن سعد بن أبي وقاص، فتوجه إليه مخاطباً وقال له: " أنت اقرب الناس مني رحماً، تعال أوصيك "، فأخذه في جانب الدار وأوصاه بأن يرسل إلى الحسين رسالة يقول له فيها: " ارجع بأهلك، ولا يغرنك أهل الكوفة، فإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لكاذب رأي "، ففعل عمر بن سعد وأرسل للحسين، ثم أخذ مسلم وقتل، وكان ذلك في يوم عرفة، وكان الحسين قد خرج بأهله متوجهاً إلى الكوفة قبل مقتل مسلم بيوم، وذلك بعد أن وصلتته رسالة مسلم الأولى التي يطلب منه فيها أن يقدم إلى الكوفة.

الحسين يشاور عدداً من الصحابة قبل خروجه إلى الكوفة بأهله، والصحابة يشيرون عليه بعدم الخروج ويخطئونه لتصديقه وعود أهل الكوفة:

- 1- فعبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول له: " لولا أن يزري بي وبك الناس، لشبثت يدي في رأسك، فلم أتركْ تذهب ".
- 2- وابن عمر رضي الله عنهما يلحق به بعد خروجه بثلاثة أيام ويقول له: " أين تريد؟ "، قال: " العراق "، وأخرج له الكتب التي أرسلت من العراق، وقال: " هذه كتبهم وبيعتهم، قال له ابن عمر: " لا تأتهم "، فأبى الحسين إلا أن يذهب، فاعتنقه عبد الله بن عمر وبكى وقال: " استودعك الله من قتيل ".
- 3- وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يقول للحسين: " أين تذهب؟!، تذهب إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك، لا تذهب ".
- 4- وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول له: " يا أبا عبد الله إني لك ناصح، وإني عليكم مشفق، قد بلغني أنه قد كاتبكم قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك إلى الخروج إليهم، فلا تخرج إليهم، فإني سمعت أباك يقول في الكوفة: " والله لقد مللتهم وابغضتهم وملوني وأبغضوني، وما يكون منهم وفاء قط، ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب، والله ما لهم نيات ولا عزم على أمر ولا صبر على سيف ".
- 5- وبخلاف الصحابة فقد نصحه أخوه من أبيه محمد بن الحنفية فقال له: " إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى ".
- 6- حتى الفرزدق الشاعر يلقيه الحسين في الطريق قادماً من العراق، فيسأله: " كيف حال أهل العراق؟ "، فيجيبه: " قلوبهم معك، وسيوفهم مع بني أمية "، فقال الحسين: " الله المستعان ".

رسول عمر بن سعد يبلغ الحسين بمقتل مسلم ورسالته إليه:

وعندها ولأول مرة يدرك الحسين أن اجتهاده بالخروج بناء على وعود أهل الكوفة كان خاطئاً، ويهم بالتراجع، فيكلم أبناء مسلم في الأمر، فيقولون له: " لا والله لا نرجع حتى نأخذ بثأر أبينا "، فلم يستطع معارضتهم، وقرر المضي قدماً نحو الكوفة.

وصول الحسين إلى العراق قريبا من القادسية واعتراض طليعة جيش عبيد الله بن زياد له بقيادة الحر بن يزيد، وعددهم ألف مقاتل:

لما التقى الحر بن يزيد التميمي بالحسين قريبا من القادسية، قال له: " إلى أين يا ابن بنت رسول الله؟! "، فقال: " إلى العراق "، قال الحر: " فإني أمرك أن ترجع، وألا يبتليني الله بك، ارجع من حيث أتيت أو اذهب إلى الشام إلى حيث يزيد، لا تقدم على الكوفة ".

ثم صار الحسين يتقدم والحر يعترضه ليمنعه، فقال الحسين: " ابتعد عني ثكلتك أمك "، فرد عليه الحر: " والله لو قالها غيرك من العرب، لاقتصصت منه ومن أمه، ولكن ماذا أقول وأمك سيدة نساء العالمين ".

وصول الحسين ووصول بقية جيش الكوفة بقيادة عمر بن سعد إلى منطقة كربلاء، والحسين يحسم قراره بالتراجع، ويقترح إنهاء الصراع:

ولما وصل الحسين إلى منطقة كربلاء، سأل عن اسمها، فقيل له: كربلاء، فقال متشائماً: " كرب وبلاء "، ووصل بقية جيش الكوفة بقيادة عمر بن سعد، وكان عديده أربعة آلاف مقاتل انضموا إلى الطليعة بقيادة الحر، فأصبحوا خمسة آلاف مقاتل، يواجهون الحسين ومن معه، وعدد المقاتلين فيهم اثنان وسبعون فارساً فقط، وهنا قرر الحسين التوقف والتراجع، عندما علم أن الأمر أصبح خطيراً، وأن أهل العراق خذلوه، بل هم اليوم يرسلون رجالهم لقتله وأهله، فكل من في الميدان جنوداً وقادة هم من شيعة أبيه!، واقترح لحل الصراع أحد ثلاثة حلول:

- 1- أن يدعوهم يرجع من حيث أتى، " إني أخبرك بين ثلاثة أمور: أن تدعني أرجع ".
 - 2- أن يذهب إلى ثغر من ثغور المسلمين، فيجاهد أعداء الله، " أو أذهب إلى ثغر من ثغور المسلمين ".
 - 3- أن يذهب إلى يزيد في الشام، فيبايعه بالخلافة. " أو أذهب إلى يزيد حتى أضع يدي في يده بالشام ".
- فقال عمر بن سعد مسروراً بهذا الاقتراح: " أرسل أنت إلى يزيد، وأرسل أنا إلى عبيد الله بن زياد "، ففعل عمر، ولم يفعل الحسين.

موافقة عبيد الله بن زياد على اقتراح الحسين، ثم تراجعته وتشدده معه بتأثير من الخبيث شمر بن ذي الجوشن:

وبعد أن وافق عبيد الله على أن يختار الحسين أياً من الثلاثة، قال أحد المقربين منه وهو شمر: " لا والله، حتى ينزل على حكمك "، فاغتر عبيد الله بنفسه وكبر رأسه، وقال: " نعم، حتى ينزل على حكمي "، وبعث عبيد الله بن زياد شمر بن ذي الجوشن ليضمن أن ينفذ عمر بن سعد إرادته في أسر الحسين وإحضاره له، ونقول: من هذه اللحظة بدأ ظلمهم للحسين، وتوقف خطأ الحسين، فالرجل يريد التراجع، وهم يريدون إهانته وإذلاله، والعجيب أنهم كلهم كانوا شيعة أبيه بدءاً من عبيد الله إلى أصغر جندي في الجيش!، فلما وصل رد عبيد الله بن زياد للحسين قال: " لا والله، لا انزل على حكم عبيد الله بن زياد أبداً "، وبذلك استحکم الصراع وبدأت الأمور تتجه نحو المواجهة العسكرية.

أحداث ما قبل المعركة أو لنقل المجزرة يوم الخميس:

قال الحسين مخاطبا جيش عبيد الله بن زياد ينصحهم: " راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي؟، وانا ابن بنت نبيكم، وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ولأخي: " هذان سيدا شباب أهل الجنة "، وصار يحثهم على نصرته، فاستجاب له ثلاثون منهم فيهم الحر بن يزيد التميمي، فلما لأمه صاحبه في الجيش رد عليهم قائلا: " ويحكم، والله إنني أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة ولو قطعت وأحرقت "، والعجيب أنهم لما حان وقت صلاة الظهر طلبوا من الحسين أن يأمرهم في الصلاة، فصلى بالجيشين صلاتي الظهر والعصر، فلما قرب وقت المغرب تقدم جيش الكوفة نحو جيش الحسين، وبعث عشرون فارسا يطلبون من الحسين تسليم نفسه، فطلب منهم الحسين إمهاله حتى الغد ليصلي القيام هذه الليلة، ففعلوا، وبات الحسين قائما يصلي ويستغفر.

رفض الحسين أن يستأسر لعبيد الله، وحدث وقعة كربلاء أو الطف يوم الجمعة سنة (61هـ)، ومقتل الحسين ومن معه من المقاتلة باستثناء ابنه علي زين العابدين لمرضه وعدم مشاركته في القتال:

شب القتال في صباح يوم الجمعة، وكانت الكفتان غير متكافئتين، وصار مقاتلة الحسين يموتون بين يديه الواحد تلو الآخر وهم يدافعون عنه، حتى بقي وحيدا أمام جيش العراق، وبقي الحسين وقتا طويلا لا يجرؤ أحد على التقدم إليه، حتى لا يبتلى بقتله، حتى صاح بهم الخبيث شمر بن الجوشن قائلا: " ويحكم، تكلتكم أمهاتكم، أحيطوا به واقتلوه "، ففعلوا، فكان من يقترب منهم يقتله رضي الله عنه، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة، وصاح بهم الخبيث شمر مرة أخرى: " ويحكم ماذا تنتظرون؟!، أقدموا "، فتقدموا وتكاثروا عليه وقتلوه، قتله سنان بن أنس النخعي، وحز رأسه الشريفة، وقيل فعل ذلك شمر لعنهما الله، فالخلاصة أن الذي باشر قتل الحسين رجلا: سنان وشمر، أما الذي تولى كبر ذلك برفضه مقترح الحسين فهو عبيد الله بن زياد، وكلهم من شيعة أبيه، فلعنة الله عليهم جميعا.

وحمل رأسه الشريفة إلى عبيد الله ووضع أمامه، فصار يعبث بفيه بقضيب كان معه، ويقول: " إن كان لحسن الثغر "، فقال له أنس بن مالك رضي الله عنه مهددا: " والله، لأسوأئك، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل موضع قضيبك من فيه ".

إرهاصات مقتل الحسين، والحق والباطل في ذلك:

روي في ذلك روايات من مثل: أن السماء صارت تمطر دما، أو أن الجدر لطخت بالدماء، أو ما يرفع حجر إلا ويوجد تحته دم، أو ما يذبحون جزورا إلا صار كله دما، فهذه الروايات كلها أكاذيب وترهات، وليس لها سند صحيح إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أو أحد ممن عاصر الحادثة، وإنما هي أكاذيب تذكر لإثارة العواطف، أو روايات بأسانيد منقطعة ممن لم يدرك الحادثة.

انتقام الله العاجل من قتلة الحسين ومن معه:

بعد أن قتل أهل الكوفة الحسين بن علي وهم شيعة أبيه، بدأ الندم يأكل قلوب بعضهم، إذ كيف يخذلونه ولا يدافعون عنه، وهم الذين أرسلوا له الكتب وغروه بها، فخرج فيهم رجل اسمه المختار بن أبي عبيد، وبدأ في جمع الناس حوله، وكون جيشا من الراغبين بالانتقام من قتلة الحسين، وسموا أنفسهم بـ " جيش التوابين "، وتوجهوا لقتال عبيد الله بن زياد ومن معه، وقتلوهم وهزموهم وقتلوهم شر قتلة، وقطعوا رؤس كبرائهم ووضعوها في مسجد الكوفة، وبظهور المختار بن أبي عبيد بدأ ظهور التشيع والشيعة كمذهب سياسي، أما التشيع والشيعة كمذهب فكري وعقائدي، فقد تأخر ظهوره إلى ما بعد انقضاء دولة بني أمية بزمان.

فعجبا لأهل الكوفة غروا الحسين وخذلوه وقتلوه ثم عادوا لينتقموا من أنفسهم، وما زال أشياعهم إلى اليوم ينتقمون من أنفسهم بضرب الرؤوس والصدور وتعذيب النفس تكفيرا عن تلك الخطيئة، والأعجب من ذلك أنهم يلقون اللوم في قتل الحسين على يزيد، وعلى أهل السنة والجماعة في كل عصر، ويشحنون قلوب وعقول أبنائهم للانتقام، فهل حقا يلام يزيد

بقتل الحسين؟، وهل حقا أن رأس الحسين حملت إلى يزيد؟، وهل حقا أن نساء آل البيت الهاشميات اللواتي كن مع الحسين جرى سبيهن وأرسلن سبايا مهانات إلى يزيد في الشام؟
يقول ابن تيمية: " إن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل، ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق، ولما بلغ يزيد قتل الحسين أظهر التوجع على ذلك، وظهر البكاء في داره، ولم يسب لهم حريما، بل أكرم أهل بيته، وأجازهم حتى ردهم إلى بلادهم ".
وهذا حق فبنوا أمية يعظمون بني هاشم بني عمومته، لذلك لما تزوج الحجاج بن يوسف من فاطمة بنت عبد الله بن جعفر لم يقبل ذلك عبد الملك بن مروان، وأمره بطلاقها، لأنه ليس لها كفؤا، فكيف بعد هذا نصدق هذه الروايات الكاذبة. وأيضا لم يثبت أن رأس الحسين الشريفة نقلت إلى يزيد، بل إن رأسه بقي في الكوفة، ودفن الحسين، ولا يعلم مكان قبره، ولكن المشهور أنه دفن في كربلاء حيث قتل رضي الله عنه.

موقف الناس من قتل الحسين:

أولا: موقف أهل السنة والجماعة وهم عموم الأمة الإسلامية وغالب أهلها، وأهل الاعتدال والوسطية فيها، ويرون أن:

- أ - الحسين رضي الله عنه لم يكن يوم قتل إماما حاكما، كما لم يكن خارجيا ولا باغيا، بل قتل مظلوما شهيدا، فقد جاء في الحديث: " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة "، فهو رضي الله عنه قرر التراجع عن خروجه على يزيد، وأراد إنهاء الأمر، لكنهم لم يقبلوا منه، وقتلوه مظلوما.
- ب - قتله من المصائب العظيمة التي ابتليت بها الأمة، وهو في حقه شهادة وكرامة ورفع درجة، وهذا قدر الله في طائفة من المخلصين من عباده أن يقضوا شهداء في سبيل الله.
- ج - قتله ليس بأعظم من قتل الأنبياء، وقتل عمر وعثمان وعلي، فكل هؤلاء أفضل منه.
- د - الحزن على قتل الحسين وغيره من أبطال الأمة إنما يكون بالاسترجاع عند ذكرهم، كما أمر الله في قوله: (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون)، أما اللطم، وشق الثياب، والصياح، فكل ذلك منهي عنه شرعا، ففي الحديث: " أنا بري من الصالحة (الصائحة)، والحالقة (يعني شعرها)، والشاقة (يعني لثيابها) ".

ثانيا: موقف الناصبة، وهم جماعة كانوا من أنصار معاوية وبني أمية، غلوا في خصومتهم لعلي وأتباعه، ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي، وهؤلاء اندثروا ولم يبق منهم اليوم أحد، فهؤلاء يرون أن:

- أ - الحسين رضي الله عنه يستحق أن يقتل، وأنه حين قتل كان خارجا عن الإمام، يريد أن يفرق جماعة المسلمين، وفي الحديث: " من جاءكم وأمركم على رجل واحد، يريد أن يفرق جماعتكم، فاقتلوه كائنا من كان "، ولكننا نرد على ذلك بأن الحسين رجع عن خروجه، وقرر بيعة يزيد لو أمكنوه، لكنهم منعوه وظلموه وقتلوه، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه في الجنة.
- ب - الحسين يستحق أن نبغضه، وأن نفرح ونسر ونوسع على أهل بمناسبة قتله، فيجعلون يوم مقتله كالعيد لهم، وهذا بدعة منكرة يرفضها الشرع.

ثالثا: موقف الشيعة، وهم أقلية في الأمة الإسلامية، غلوا في حب علي وأبنائه، حتى خرجوا عن حدود الشرع، وهم يرون أن:

- أ - الحسين رضي الله عنه، قتل مظلوما شهيدا، وكان يوم قتل إماما حاكما للمسلمين، وهو الإمام الحق الذي تجب طاعته، وأما الذين قتلوه فهم الذين غصبوا حقه الشرعي في الإمامة، وعلى رأسهم يزيد.

ب - الحزن على قتل الحسين واجب دائم لا ينقطع، ويوم مقتله هو مناسبة للحزن، واللطم، والبكاء، والصراخ، والعطش، وإنشاد المراثي، وسب ولعن كل من غصب حق علي وأبنائه بالخلافة، وهم بزعمهم غالب الصحابة، والحق أن استدعاء الواقعة كل عام بهذا الشكل المنكر المخالف للشرع، إنما الغرض منه إدامة شحن أتباع هذه الفئة بالحق والبرغبة في الانتقام من باقي الأمة، لإدامة الفرقة والفتنة بين أفراد الأمة، وبقاء هذا الأمر إلى اليوم يثبت أن أتباع ابن سبأ ما زالوا يقتاتون على دماء من سفكوا دمه من سلف هذه الأمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

موقف أهل السنة والجماعة وغيرهم من يزيد بن معاوية رضي الله عن أبيه:

من الناس من يتعصب ليزيد ويحبه، بل ويدعي أنه نبي معصوم، وهذا لا ريب قول باطل، ويسمى هؤلاء بـ اليزيديين، وهم موجودون اليوم في العراق، وهم ليسوا من أهل الإسلام في شيء. ومن الناس من يتعصب عليه ويبغضه، بل ويكفره، ويرى أنه كان منافقا يظهر الإسلام ويبطن النفاق، ويكره الرسول صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء هم الشيعة، وقولهم هذا باطل منكر أيضا. أما أهل السنة والجماعة، فقولهم في يزيد هو الحق، وهم يرون أن يزيد ملك من ملوك الإسلام، وخليفة من خلفائه، له وعليه، ولم يقل أحد من علماء أهل السنة أنه خارج عن الملة، نعم من أهل السنة من يقول عنه فاسق، ويجيز لذلك لعنه، بسبب مقتل الحسين، ومنهم من يمنع ذلك، والراجح منع تفسقه ولعنه، وذلك لأنه يجب على من يرى جواز لعنه أن يثبت أولا أن الرجل فاسق، وإن أثبت فسقه، فعليه أن يثبت أنه لم يتب من فسقه قبل موته، هذا ثانيا، وثالثا عليه أن يثبت أنه يجوز في شرعنا لعن الميت المعين الذي لم يلعنه الله ورسوله، وبخاصة أن النصوص دلت على عدم جوازه، ففي الحديث: " لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا "، وفي الحديث أيضا: " سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"، كما أن النصوص دلت على ما يمنع من تفسيق يزيد ولعنه من مثل حديث: " أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم "، وكان هذا الجيش بقيادة يزيد، وعليه نقول: الراجح في حق يزيد أن نكل أمره إلى الله، أونقول فيه كما قال الذهبي: " لا نسبه، ولا نحبه ".

الباب الثاني

عدالة الصحابة رضي الله عنهم

الفصل الأول

عدالة الصحابة وأدلتها

الصحابي لغة: الملازمة والانقياد.

الصحابي اصطلاحاً: كل من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على الإيمان.

والصحابه متفاوتون في:

1- ملازمتهم للنبي صلى الله عليه وسلم.

2- فضلهم.

العدالة لغة: ضد الظلم، والتوسط في الأمور من غير إفراط بين طرفي الزيادة والنقصان، والإرضاء والإقناع في الشهادة، والإستقامة.

العدالة اصطلاحاً: " تنوعت فيها عبارات العلماء من محدثين وأصوليين وفقهاء، إلا أنها ترجع إلى معنى واحد وهو أنها: ملكة أى صفة راسخة فى النفس، تحمل صاحبها على ملازمة التقوى، والمروءة.

والتقوى ضابطها: امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات من الكبائر ظاهراً، وباطناً من شرك أو فسق أو بدعة. والمروءة ضابطها: آداب نفسية تحمل صاحبها على التحلى بالفضائل، والتخلى عن الرذائل، وترجع معرفتها إلى العرف. وليس المراد بالعرف هنا سيرة مطلق الناس بل الذين نفتدى بهم. وليس المقصود من العدل أن يكون بريئاً من كل ذنب، وإنما المراد أن يكون الغالب عليه التدين، والتحرى فى فعل الطاعات.

وفى ذلك يقول الإمام الشافعى: " لو كان العدل من لا ذنب له لم نجد عدلاً، ولو كان كل مذنب عدلاً لم نجد مجروحاً، ولكن العدل من اجتنب الكبائر؛ وكانت محاسنه أكثر من مساويه".

فالعدالة إذا لا تعني العصمة من الذنوب، وكل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليسوا معصومين، فهم بشر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " كل ابن آدم خطاء "، وأخطأوا هم مغمورة ومغفورة ببحر حسناتهم كما بيناه سالفاً.

ويستثنى من ذلك ذنبا واحد فقط لا يرتكبه الصحابة، وهو الكذب على رسول الله فى نقل الدين، وقد ثبت ذلك من خلال تتبع العلماء واستقراءهم روايات الصحابة، فما وجدوا صحابيا كذب كذبة واحدة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قدر الله ذلك حتى نطمئن لسلامة ما بين أيدينا من قرآن وسنة، لأنه إذا سلم الناقل سلم المنقول، وإذا طعن فى الناقل كان طعنا فى المنقول.

الأدلة الشرعية على عدالة جميع الصحابة:

1- قوله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا).

وجه الاستدلال: يخبر الله عن أصحاب بيعة الرضوان وعددهم ألف وأربعمائة صحابي أنه قد رضي عنهم، ومن رضي الله عنه، لا يعود فيغضب عليه، وسبب رضاه أنه علم ما في قلوبهم من الصدق والإيمان، وهذه شهادة من الله وتزكية لبواطنهم، فهم عدول، وقد جاء في الحديث: " لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، إلا صاحب الجمل الأحمر "، وكان هذا المستثنى منافق خرج معهم وليس منهم أي ليس صحابيا، واسمه الجد بن قيس.

2- قوله تعالى: (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله والله ميراث السماوات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير). وجه الاستدلال: وعد الله كل من أنفق وقاتل في سبيل قبل فتح مكة أو بعده من الصحابة فهو من أهل الجنة، ولا يعد الله احدا بالجنة إلا ويكون عدلا.

3- الصحابة إما مهاجرين أو أنصار، والله مدح الفرقين فسمى المهاجرين بالصادقين، وسمى الأنصار بالمفلحين، وزكى ظواهرهم وبواطنهم، وذلك في قوله تعالى: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)، فالمهاجرون ينصرون الله ابتغاء مرضاته وهم صادقون في ذلك، وقال أيضا عن الأنصار: (والذين تبوءوا الدار والإيمان يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)، فالأنصار مؤمنون أثروا إخوانهم المهاجرين على أنفسهم وهو مفلحون فائزون في الآخرة.

4- قوله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله). وجه الاستدلال: يرى أكثر المفسرين: أنها نزلت في الأمة كلها، لكن جيل الصحابة هو أول من خوطب بها وانطبقت عليه، لتمثله ما فيها، ويبعد مع هذه الآية أن تصح عبارة الرافضة التي تقول: إن كل الصحابة ارتدوا إلا ثلاثة، لأن خير الأمم لا يكون هذا حالها.

5- قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا). وجه الاستدلال: وسطا: يعني خيارا عدولا، وفي الحديث: " الوسط: العدل "، والآية قد نزلت في الأمة عامة، لكن أول من خوطب بها هم جيل الصحابة، وهم أكثر من تنطبق عليه من أجيال الأمة.

6- حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم أنفق مثل احد ذهب ما بلغ مد أحد ذهباً، ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه ".

7- الإجماع: فقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة على أن جميع الصحابة عدول وقد نقل ذلك ابن عبد البر، وابن حجر العسقلاني، والعراقي، والجويني، وابن الصلاح، وابن كثير، وغيرهم.

8- المعقول: قال الخطيب البغدادي: " على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من؛ الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج، والأموال، وقتل الآباء، والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على عدالتهم، والاعتقاد على نزاهتهم، وأنهم أفضل من المعدلين والمزكين، الذين يجيئون من بعدهم أبد الأبد ".

الفصل الثاني

الطاعنون في عدالة الصحابة رضي الله عنهم

الطاعنون في عدالة الصحابة أحد رجلين:

الأول: رجل يطعن فيهم لشبهات حصلت عنده بسبب علماء السوء، فمثل هذا الطاعن دواؤه بيان الحق له من الباطل ليتزول عنه الشبهات.

الثاني: رجل خبيث يطعن فيهم توصلا إلى إبطال القرآن والسنة، لأنهم رضي الله عنهم نقلة هذا الدين، والطعن في الناقل طعن في المنقول، ومثل هؤلاء الطاعنين هم الخطر الحقيقي الذي يجب رصدته والتنبه له.

يقول الإمام أبو زرعة الرازي في شأن هذا الصنف الثاني: " إذا رأيت الرجل يطعن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن القرآن عندنا حق، والسنة عندنا حق، وإنما نقل لنا القرآن والسنن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة ".

الفرق التي طعنت في عدالة الصحابة وحججهم إجمالا:

هي أربعة فرق:

1- **الشيعة:** وهي أكثرهم طعنا وأخبثهم طوية، حيث كفر الروافض منهم الصحابة جميعا سوى ثلاثة، أو سبعة، أو عشرة على اختلاف الروايات عندهم.

2- **النواصب:** وهم أناس من التابعين ممن كانوا مع معاوية، فسقوا عليا ومن كان معه من الصحابة والأتباع، وقد انقرضوا وطوى التاريخ ذكرهم.

3- **الخوارج:** وهم يكفرون ويبرؤون من كل الصحابة الذين اشتركوا في الفتنة أو قبلوا التحكيم.

4- **المعتزلة:** وهم يفسقون كل الصحابة الذين اشتركوا في الفتنة، ولا يقبلون شهاداتهم ولا رواياتهم.

حجج هذه الفرق إجمالا على الطعن في عدالة الصحابة:

1- وقوع المعاصي من الصحابة، فمنهم من شرب الخمر، ومنهم من زنا، ومنهم من تجسس، ومنهم من فر من المعركة.... الخ.

والرد عليهم: أن العدالة لا تعني العصمة كما قدمنا، ولكن تعني غلبة التدين على الشخص، وغلبة حسناته لسيئاته.

2- من الصحابة من هو منافق بنص القرآن والسنة.

والرد عليهم: أن كلا من الصحابي والمنافق مصطلحان مختلفان من حيث المعنى، فكيف تجعلون أحدهما جزءا من الآخر، فالقسيم كيف يكون جزءا من قسمه؟!، هذا لا يعقل، فإن قلت: هو صحابي، استحال أن تدرجه بين المنافقين، وإن قلت: هو منافق، استحال أن تدرجه في الصحابة.

3- يلزم من العدالة المساواة في المنزلة، والصحابة ليسوا متساوين في المنزلة، وإذا انتفتت المساواة انتفتت العدالة.

والرد عليهم: إن مقدمة الكلام باطلة، فالصحابة عدول كلهم، مع أنهم غير متساوين في الفضل، فأفضلهم الخلفاء الراشدين على ترتيب خلافتهم، ثم تكملة العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، وهكذا، والله أثبت عدم تساويهم، ومع ذلك يدخلهم الجنة كلهم قال تعالى: (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعلمون خبير)، كما إن الأنبياء أنفسهم عليهم السلام لا يتساوون في الفضل، فكذاك الصحابة، قال تعالى: (وتلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض).

4- لا يوجد دليل على عدالة كل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

و الرد عليهم: ما مضى من الأدلة التي ذكرنا، من الكتاب والسنة، وإجماع اهل العلم، والمعقول.

الفصل الثالث

شبهات الطاعنين بعدالة الصحابة وردها

الشبهة الأولى

حديث الحوض يطعن بفريق من الصحابة

عرض الشبهة:

جاء في الحديث: " يرد علي رجال أعرفهم ويعرفونني، فيذاودون عن الحوض، فأقول: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ".

وجه استدلالهم بالحديث: ها هو النبي صلى الله عليه وسلم يقول لنا أنه سيرد عليه رجال يعرفهم، وتمنعهم الملائكة من الشرب من حوضه، فيتشفع فيهم عند الله ليشربوا؛ لأنهم من صحابته، فيجاب: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، يعني من مخالفات شرعية وانحراف عن الدين، فكيف نقول بعد ذلك إن كل الصحابة عدول؟!.

الرد على هذه الشبهة:

الذي استدلل بهذا الحديث الصحيح هم الشيعة، وهم أخذوا رواية واحدة فقط من روايات هذا الحديث، وحملوا كلمة " أصحابي " الواردة فيه على معنى " الصحبة الشرعية "، وهذا المعنى هو أحد خمسة معاني تحتملها هذه اللفظة، وهذا المعنى الذي اختاروه هو المعنى الوحيد الذي إن فسرت الحديث به طعنت في الصحابة، وخالفت النصوص المحكمة الأخرى التي دلت بشكل صريح قاطع على عدالة جميع الصحابة، فمنهج أهل الباطل دوماً منهج انتقائي شخصي، هدفه تأييد أهوائهم في الطعن في الصحابة، ولا يباليون إن كان الثمن هو مخالفة المنطق والمعقول، وضرب النصوص الثابتة بعضها ببعض.

والآن لنشرع في معرفة المعاني الصحيحة لكلمة " أصحابي "، وكيف دلت عليها روايات الحديث والنصوص الشرعية الأخرى، فنقول: لا يجوز أن نفهم من كلمة أصحابي الواردة في هذه الرواية للحديث المعنى الظاهر وهو: الصحبة الشرعية، بل يجب علينا تأويلها بأحد المعاني التالية:

أ - المنافقون الذين لم يكن يعرفهم النبي صلى الله عليه وسلم، ومات وهو يظنهم من الصحابة، والنص الذي يدل على هذا التأويل هو: قوله تعالى: (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم).

ب - الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قاتلهم الصحابة الحقيقيون، والنص الذي يدل على هذا التأويل هو أحد روايات الحديث نفسه التي جاء فيها: " إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أدبارهم منذ فارقتهم ".

ج - المعنى العام أو المعنى اللغوي للصحبة، وهم كل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يتابعه، مثل رأس المنافقين عبد الله بن أبي سلول، فهو في أعين الناس صحابي لأن المعنى اللغوي للصحبة تحقق فيه وإن كان في حقيقته ليس صحابياً بالمعنى الشرعي، والنص الذي يدل على هذا التأويل: أن عبد الله لما قال: (لنن رجعا إلى المدينة ليخرجن

الأعز منا الأذل)، فقال عمر: "يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه".

د - أفراد الأمة الإسلامية في كل عصر، وهم كل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم على طريق الإسلام ولو لم يروه، والنص الذي يدل على هذا التأويل هو أحد روايات الحديث نفسه التي جاء فيها: "وسيؤخذ أناس دوني، فأقول: يا رب، مني، ومن أمتي"، ويدل له أيضا أن راوي الحديث وهو ابن أبي مليكة، وهو أحد التابعين قال معقبا: "اللهم، إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا"، ففهم أن المقصود ليس الصحابة بل من يأتي من بعدهم من أفراد الأمة، وقد يقال هنا: هذا التأويل لا يتفق مع عبارة "رجال أعرفهم ويعرفونني"، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف أفراد أمته، ونقول رداً على ذلك بل هو يعرفهم بآثار الوضوء؛ لأنهم يأتون غرا محجلين يوم القيامة، أي تضيء مواضع الوضوء من أجسامهم، كما بينته الأحاديث.

ونرد على الشيعة: إن فتحتم باب الطعن على الصحابة بهذا الحديث، فما الذي يمنع أن يطعن النواصب بعلي وبنيه احتجاجاً به أيضاً؟.

الشبهة الثانية

الله تعالى لم يمدح جميع الصحابة في آية سورة الفتح

عرض الشبهة:

في قوله تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا وعد الله الذين ءامنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما).

وجه استدلالهم بالآية: هاهو الله يقول (منهم) وليس كلهم، وعامة المفسرين يفسرون منهم هنا بانها تبعية، ويكون المعنى أن بعض الصحابة فقط سيدخلون الجنة، لا كلهم، وهذا يدل على أن من الصحابة من هو فاسق أو حتى كافر، فبطل القول بعدالتهم كلهم.

الرد على هذه الشبهة:

يقال هنا أيضا ما قيل في الشبهة قبلها، من أن الفهم هنا انتقائي بما يوافق الهوى، وليس موضوعيا يوافق الحقيقة التي هي إرادة الله المتكلم بالنص، فلفظة (منهم) في اللغة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على عدة معان، هي: التبعية، وبيان الجنس، والتأكيد، فلماذا اخترتم معني التبعية دون بقية المعاني لتفسير الآية به، وبخاصة أن اختيار هذا المعنى، يؤدي إلى تناقض في الآية نفسها بين أجزائها، لأن أول الآية يمدح كل الصحابة، فكيف يأتي آخرها لينقض هذا العموم، وكأن بعضها يكذب بعضها الآخر، فضلا عن تناقضها مع غيرها من النصوص المحكمة التي دلت على عدالة كل الصحابة، ثم إنه من الكذب الصراح قولهم إن عامة المفسرين على هذا الرأي، لأنه عند الرجوع إلى تفاسير أهل السنة والجماعة نجد أن كل المفسرين قد فسروا (منهم) بأنها إما مؤكدة، أو مجنسة (من جنسهم وأمثالهم)، وهو التفسير الذي يجعل الآية تنسجم مع نفسها أولها مع آخرها، ومع النصوص الشرعية الأخرى، وهو ما يقتضيه النظر الموضوعي في فهم نصوص الشارع كما هو منهج علماء أهل السنة والجماعة، ونظير هذين المعنيين في القرآن قوله تعالى: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان)، فيستحيل أن يريد الله هنا تحريم عبادة بعض الأوثان دون بعضها الآخر، ولكن يريد تحريم كل ما كان من جنسها وأمثالها، وأيضا قوله تعالى: (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)، فيستحيل أن يريد الله أن بعض القرآن شفاء دون بعضه الآخر، بل يريد التأكيد على أن القرآن كله شفاء.

الشبهة الثالثة

أغضبوا النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء

عرض الشبهة:

بعد صلح الحديبية أمر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة بأن يحلقوا رؤسهم وينحروا الهدي، فلم يستجيبوا لأمره، فغضب منهم، ومن يغضب النبي منه، كيف يكون عدلا؟!

الرد على الشبهة:

1- لقد كان صلح الحديبية مجحفا في ظاهره في حق المسلمين، زد على ذلك شوق الصحابة للبيت وبخاصة المهاجرين منهم، فذلك غضبوا، لأنهم لم يدركوا الحكمة من وراء ذلك، كما غضب موسى عليه السلام وهو يرى معلمه يقوم بأعمال ظاهرها العذاب؛ لأنه لم يدرك أن باطنها الرحمة، وقد عذره الله في غضبه بقوله: (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا).

2- تعظيم الصحابة لجنان النبي صلى الله عليه وسلم أصل محكم متقرر لا يشك فيه، فلا يزال بمثل هذه الوقائع المحتملة للتأويل، فعروة بن مسعود يقول لقريش بعد أن وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ليرده عن العمرة يقول: " أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إنه يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم، وما يحدون النظر إليه تعظيما له "

3- إذا، أي تأويل صحيح لعدم مبادرتهم بطاعة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟
التأويل الصحيح أن نقول: إنهم فقط أخوا طاعة الأمر، لا أنهم رفضوا طاعته، فالحالة هي حالة تأخير وإرجاء، وليست حالة معصية، وهم إنما فعلوا ذلك رجاء أن يغير النبي رأيه، أو ينزل الله حكما جديدا يأمر فيه النبي بالعمرة، وما ذاك إلا لشدة شوقهم لبيت الله، والدليل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذهب إلى أم سلمة واستشارها في شأنهم، قالت له: " فاحلق أنت، وانحر هديك " يعني حتى يعلموا أن الأمر قد انتهى، وأنه لا مجال للتراجع، فلما فعل فعلوا دون حاجة لأن يأمرهم بأمر جديد، فهل هذا حال من يرد أن يعصي؟.

4- لقد أنزل الله سورة الفتح كاملة بعد هذه الواقعة، وفيها إخبار من الله لهم بأن هذا الصلح فتح ونصر كبير، فلا يحزنوا، كما أن فيها مدحا كبيرا لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي قوله تعالى: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة وأثابهم فتحا كبيرا)، وقوله: (محمد رسول الله والذين معه الآية)، فهل هذا المدح من الله لهم كان ليكون بعد واقعة عصوا أمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها؟!.

5- إن الشيعة هم الذين استدلوا بهذه الشبهة، فنقول لهم، علي بن أبي طالب كان معهم، فإن قلتم عصى الصحابة برفضهم تنفيذ الأمر، وسقطت عدالتهم، فالحكم ينسحب على علي أيضا؛ لأنه عصى كما عصوا، وإن قلتم لم يعص علي برفضه تنفيذ الأمر، والتمستم لفعله تأويلا ومخرجا، فهو عدل، فالحكم أيضا ينسحب على الصحابة كلهم، فهم عدول.

الشبهة الرابعة

إن أبا بكر وعمر تخلفا عن جيش أسامة فهما ملعونان

عرض الشبهة:

أمر النبي عليه السلام أبا بكر وعمر وغيرهم بالالتحاق بجيش أسامة، وقال: " لعن الله من تخلف عن جيش أسامة "، فلما مات النبي عليه السلام خرج الجيش ولم يخرجوا معه، فهما إذا ملعونان، فكيف يكون الملعون عدلاً؟!.

الرد على الشبهة:

1- ونحن نقول بدورنا: وكيف لا يكون الكاذب على رسول الله عليه السلام ملعوناً؟، فهذا الحديث الذي يسوقونه أن النبي قاله، حديث موضوع مكنوب عليه، فمن مستحق اللعن الآن؟.

2- أما تخلف أبي بكر رضي الله عنه، فكان بأمر النبي عليه السلام، لأنه عجز عن إمامة المسلمين في الصلاة لشدة المرض، فقال: " مروا أبا بكر أن يصلي بالناس "، ووالله لو لم يصل بهم وخرج مع الجيش لقالوا عصي أبو بكر أمر النبي عليه السلام بإمامة المسلمين في الصلاة، فليس الأمر عندكم أمر حق وحقيقة، بل هو محض تصيد، لا غتيال صفوة رجالات هذا الدين، توصلاً لهدمه، فاللعنة عليكم لا على أبي بكر وعمر.

3- وأما تخلف عمر رضي الله عنه، فكان أن استأذن أبو بكر أسامة قائد الجيش أن يبقى عمر بجانبه؛ ليستشيره في أمور الحكم، فأذن له أسامة، وواقعة الاستئذان هذه خلق رفيع من أبي بكر يستحق عليها المدح لا الذم واللعن، ولكنها الذمم الخربة، وإلا كان يستطيع أن يبقيه إلى جانبه دون استئذان من أسامة، إذ هو أمير الاثنين.

الشبهة الخامسة

قتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة ظلما بغير حق، ليستخلص زوجته لنفسه سبيا، ودخل بها في نفس الليلة، ولم يعاقبه أبو بكر بشيء وبقي قائدا للجيش

عرض الشبهة:

بعث أبو بكر الصديق خالدا لقتال المرتدين ومانعي الزكاة، وكان من هؤلاء بنو تميم في البطاح، وقائدهم مالك بن نويرة، وكانوا قد منعوا الزكاة، فجاءهم خالد وقاتلهم وأسر مالك بن نويرة، ثم قتله لأجل أن يستخلص زوجته لنفسه، فسبها ودخل بها في ليلة مقتل زوجها، وبلغ ذلك أبا بكر، فلم يفعل شيئا، فأى عدالة بقيت لهما؟!.

الرد على الشبهة:

1- قال العلماء إن قتل خالد لمالك بن نويرة لا يلام عليه:

أ - إما لأنه أوقعه بحق اليقين، وذلك لأنه من المعلوم أن مالك بن نويرة كان من حلفاء مدعية النبوة سجاح التغلبية، فهو إذا مرتد وليس مجرد مانع للزكاة، فلا شك في صوابية قتله، ويكون قتله بحق اليقين، كقتل مسيلمة سواء بسواء، ويرجح هذا التفسير أن عمر بن الخطاب لما التقى أخا مالك، وهو متم بن نويرة، وكان قد رثى أخاه مالكا ببيتي شعر أعجبا عمرا، فلما لقيه طلب منه عمر أن ينشده ما قاله في أخيه مالك، فأنشده إياهما، فقال عمر: " والله، لوددت أن أرثي أخي زيدا بمثل ما رثيت أخاك "، فأجابه متم: " لو مات أخي على مثل ما مات عليه أخوك ما رثيته "، فقال عمر: " ما عزاني أحد في أخي بمثل ما عزيتني "، فتمتم يرى أن أخاه مات ميتة مخزية لأنه مات مرتدا، وأهل بني تميم أدرى بشعابها، فأين هو من ميتة زيد بن الخطاب الذي استشهد وهو يقاتل المرتدين من بني حنيفة.

ب - أو أنه كان بقتله متأولا مجتهدا، والمجتهد المخطئ لا يائثم، وبالتالي لا يعاقب، وذلك بإجماع علماء أهل السنة والجماعة، وهذا إذا اعتبرنا أن مالكا كان مجرد مانع للزكاة، لكن خالد بن الوليد لما سأله: " أين زكاة الأموال؟، مالكم فرقتم بين الصلاة والزكاة؟ "، فقال مالك: " إن هذا المال كنا ندفعه لصاحبكم في حياته فمات، فما بال أبي بكر؟ "، فهنا غضب خالد، وفهم من رده مجتهدا أنه ليس مجرد مانع للزكاة، بل هو مرتد كافر يستحق القتل، ولذلك رد عليه خالد بقوله: " أهو صاحبنا، وليس بصاحبكم "، ثم أمر ضرار بن الأزور فضرب عنقه.

ج - أو أن قتله وقع بخطأ غير مقصود، والخطأ لا مؤاخذه عليه في شرع الإسلام، ففي الحديث: " رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه "، وذلك أن قوم مالك كانوا من مانعي الزكاة فكلمهم خالد ثم انبهم، ثم دفع ببعضهم ومنهم مالك إلى الأسر، وكانت الليلة شديدة البرد، فأمر خالد حارسهم بأن يدفئ أسراه، فذهب الحارس وقتلهم، لأنه كان من ثقيف، ومعنى أدفئ الرجل في لغة ثقيف هو اقتلوه "، فكان الأمر خطأ غير مقصود.

2 - وبالنسبة لسبب خالد لزوجة مالك فنعم قد وقع هذا، لكنه لم يدخل بها ليلة قتله، وأيضا لم يقتله من أجلها، فهذا كذب، وكيف يصدق ذلك عن خالد وهو الذي يقول: " لأن أصبح العدو في ليلة شاتية أحب إلي من أن تهدى إلي فيه عروس، أو أبشر فيها بولد ".

3- أما أن أبابكر لم يقتل خالدا لقتله مالكا، فنقول فما بال علي لم يقتل قتلة عثمان، وشتان بين عثمان، وبين مالك المشكوك بإسلامه، فإن عذرت عليا فاعذروا أبا بكر.

الشبهة السادسة

قتل معاوية للصحابي حجر بن عدي

عرض الشبهة:

كيف يقتل معاوية صحابيا هو حجر بن عدي ظلما، بلا سبب يستوجب قتله، والقتل من الكبائر فكيف يكون معاوية عدلا؟

الرد على الشبهة:

1- عدي بن حجر كان من شيعة علي، وقاتل معه في صفين، وهو من أهل الكوفة، المدينة التي ما رضيت عن وال، المدينة التي قتلت الزبير وعليا والحسن والحسين، المدينة التي أرسلت مكافئها ليخاصروا عثمان ويشتركوا في قتله.

2- عدي بن حجر رجل مختلف في صجته، وقد رجح أهل العلم أنه تابعي وليس صحابيا.

3- أما حكايته فهي أنه كان في مسجد الكوفة، وكان والي الكوفة يخطب، وهو زياد بن أبيه، وزياد هو واليها أيضا أيام علي، فلما استخلف معاوية أقره عليها، وزاده البصرة، فخطب زياد وأطال، فقال له عدي: " الصلاة الصلاة "، فاستمر زياد في خطبته، فحصبه عدي بالحجارة، وكذا فعل أتباعه قاموا وحذفوا زيادا بالحجارة، فأرسل زيد إلى معاوية بما وقع من عدي، فأمر معاوية بإحضاره إلى الشام، فلما مثل بين يديه، أمر بقتله، لأنه أراد إثارة الفتنة من جديد، فأراد معاوية قطع الفتنة من أول ظهورها.

4- قالت عائشة لمعاوية: " لماذا قتلت حجر بن عدي؟ "، فقال لها: " دعيني وحجرا حتى نلتقي عند الله "، ونحن نقول أيضا دعوا معاوية وعدي حتى يلتقيا عند الله.

الشبهة السابعة

ظلم أبي بكر فاطمة في ميراثها، أو هبة النبي لها، وغضبها، وعدم علم أبي بكر بموتها ودفنها، لإهماله لأمرها

عرض الشبهة: وهي شبهة متعددة الأجزاء وقالها الشيعة:

1- بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة إلى أبي بكر تطلب ميراثها من أبيها، فلم يعطها أبو بكر حقها، علما بأن الحديث يقول: " ما تركنا صدقة "، ف ما هنا نافية، وكلمة صدقة في الحديث منصوبة، والمعنى لم نترك صدقة بل ميراثا، وأيضا ليس صحيحا أن الأنبياء لا يورثون لأن ذلك مخالف للقرآن، فإله يقول على لسان زكريا: (وإني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا * يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا)، وقوله أيضا: (وورث سليمان داود).

2- وقال بعضهم: بل جاءت تطلب أرضا وهبها لها النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة خيبر، فمنعها إياها، ويسوقون رواية هي: " أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر وبعد أن أنزل الله تبارك وتعالى عليه: (وأت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا)، فنادى فاطمة، فأعطاهم فدك ".

3- ويقولون إن فاطمة لما رفض أبو بكر طلبها غضبت، وذهبت إلى قبر أبيها تشتكي إليه أبا بكر.

4- كما يقولون إنها ماتت ودفنت ولم يعلم بها أبو بكر، لأنه كان أهمل أمرها.

فأي عدالة تبقى لأبي بكر بعد ذلك؟

الرد على الشبهة:

1- أما أن أبا بكر منع فاطمة ميراثها من أبيها، فالرواية الصحيحة أفادت أنها جاءت تطلب إرثها من النبي صلى الله عليه وسلم في فدك وسهمه في خيبر وغيرها، فاعتذر أبو بكر عن ذلك، لمخالفته حديث النبي صلى الله عليه وسلم: " إنا لا نورث، ما تركناه صدقة "، وفي رواية: " ما تركنا صدقة "، وفي رواية: " ما تركنا فهو صدقة ". وفي رواية إنا معشر الأنبياء لا نورث ".

وأنت ترى أن " ما " في الحديث ليست نافية كما يدعي الشيعة كذبا وتحريفا، بل هي اسم موصول بمعنى الذي وتكون صدقة مرفوعة، والمعنى الذي تركناه صدقة، وليس ميراثا.

أما وراثة يحيى لزكريا فليس المقصود بها وراثة المال، بل ميراث النبوة، لأنه كيف يليق بنبي أن يدعو الله ويتضرع له ليرزقه ولدا من أجل أن يرث ماله؟!، ثم أي مال يملكه زكريا وهو الرجل الفقير، ومهنته النجارة، وحتى لو قلنا يرث من يعقوب، فلا يصح، لأن العصبة الأقرب تحجب العصبة الأبعد.

وأما وراثة سليمان لداود، فهي أيضا وراثة نبوة لا وراثة مال، لأنه لو قصد المال فلم يخص سليمان بالذكر فقط دون إخوته، فإن له أخوة ورثوا مالا من أبيهم أيضا بزعمهم؟!،

ثم لم يهتم القرآن بذكر واقعتي ميراث مال عاديتين، ما المهم في ذلك؟، الحق أن القرآن قد اهتم؛ لأنهما واقعتي ميراث نبوة لا ميراث مال.

وأيضا فإذا كان أبو بكر في عهده منع فاطمة من حقها وظلمها، وكذا فعل عمر في عهده، وكذا فعل عثمان، فما بال علي بن أبي طالب لما جاء عهده لم يحرك ساكنا، ولم يعط الحسن والحسين ميراثهما من جدهما وأمهما؟!.

2- وأما قول بعضهم أن أبا بكر إنما منع فاطمة أرضا كان وهبها إياها النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر سنة 7 هـ، فنقول:

هذه القصة مكذوبة لا تصح والآية الواردة فيها لم تنزل في هذا الوقت، والروايات الصحيحة هي ما أسلفناه وقد أفادت أن فاطمة إنما طلبت فدكا كميراث لا هبة.

ثم، كيف يعطي فاطمة أرضا ولا يعطي مثلها لزينب وأم كلثوم ابنتيه الأخريين، وقد كانتا حيتين لم تموتا في هذا التاريخ المزعوم، وبخاصة أنه قد جاء النعمان بن بشير يريد منه أن يشهد ه على حريقة يريد أن يعطيها أحد أبنائه، فقال له: " أكل اولادك أعطيت؟"، قال النعمان: " لا"، فقال: " اذهب فإني لا أشهد على جور".

وأيضا فإنهم إن قالوا هبة، قلنا إما أن تكون فاطمة قبضتها في حياة أبيها، أو لم تفعل؛ فإن كانت قبضتها، فلم جاءت أبابكر تطلبها منه؟!، وإن لم تكن قبضتها، فإن الهبة إن لم يقبضها الموهوب في حياة واهبه، بطلت، فكانها لم تعط، فتكون ملكا للنبي، والأنبياء لا يورثون.

3- أما أنها غضبت، فهذا مذكور في رواية صحيحة للحديث الوارد في الواقعة، ففيه: "... فوجدت فاطمة رضي الله عنها على أبي بكر الصديق"، فهذه العبارة ليست في أصل الحديث، وإنما هي مدرجة أي زادها الإمام الزهري، وعلى فرض أنها غضبت، فما الذي يضر أبا بكر إذا غضبت عليه فاطمة ورضي عنه الله، فقد قال الله: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) وكان منهم، ثم إن موقف أبي بكر هنا موقف إيمان واتباع وتقوى لأنه إنما أغضبها تقدما لشرع الله، فكيف يلام؟!، ولذلك تجد ان علماء السنة والجماعة هنا يحاولون أن يعتذروا عن موقف فاطمة لا عن موقف أبي بكر، فيقولون معتذرين عن غضبها؛ إما انها ظنت انا أبا بكر أخطأ في السماع من النبي، أو أنه أخطأ في فهم ما سمع، أو أنها احتجت بعموم آيات الميراث.

وعلى فرض أنها غضبت فإن المشهور أن أبا بكر ترضاها حتى رضيت، وقد روى ذلك مرسلا صحيحا عن الشعبي.

وأما أنها ذهبت إلى قبر النبي عليه السلام تشتكي له ظلم ابي بكر لها، فهذا كذب، لا يليق بفاطمة الموحدة أن تفعله، والشكوى إنما تكون لله النافع الضار لا لصاحب قبر حتى لو كان نبيا، قال الله عن يعقوب عليه السلام: (قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله).

4- وأما أن أبا بكر لم يعلم بموتها ودفنها، فالمعلوم انها لما مرضت أرسل لها ابو بكر زوجته اسماء بنت عميس، فمرضتها حتى ماتت، وهي التي غسلتها وكفنتها، فكيف لا يعلم ابو بكر بموتها؟!، ثم إنها دفنت ليلا؛ فلم يؤذن أبو بكر بدفنها.

الشبهة الثامنة

قول عمر عن بيعة أبي بكر الصديق : إنها فلتة

عرض الشبهة:

قال عمر عن بيعة أبي بكر الصديق عنها فلتة، يعني خارجة عن قواعد الشرع في ترشيح الحاكم، لأنها تمت بشورى ناقصة، فلم يكن كل أهل الحل والعقد من المهاجرين موجودين عندما بويع أبي بكر بالبيعة الخاصة وهي بيعة الترشيح، فكيف يكون عدلا من يخالف الشرع في مثل هذه اقضية الخطيرة؟

الرد على الشبهة:

ا - عمر ليس هو من قال ذلك، بل قاله غيره، ومناسبة هذا القول هي أن بعض الناس في عهد عمر قال: لئن مات عمر لأبايعن فلانا، وإن بيعة أبي بكر كانت فلتة. ومعنى عبارته هو أن بيعة أبي بكر الخاصة وهي بيعة الترشيح التي وقعت في سقيفة بني ساعدة إنما جرت فلتة يعني: غير منضبطة بما نصت عليه الشريعة في مثل هذه الحالات من وجوب اختيار المسلمين للمرشح لمنصب الخلافة بالشورى، وأهل الشورى لم يكونوا كلهم حاضرين في السقيفة، حيث غاب أغلب المهاجرين، فالببيعة إذا فلتة، فإن جاز ذلك لأبي بكر جاز لغيره.

ب - سمع عمر بهذه المقولة، فأقر بأن بيعة أبي بكر كانت فلتة أي خالفت القواعد الشرعية، لكنه بين أن هذه المخالفة هي مخالفة في الظاهر فقط، أما في الحقيقة فإن ما جرى كان من قبيل الحكم الاستثنائي المشروع، لأن الظرف الذي كان فيه الصحابة كان ظرفا استثنائيا استلزم مثل هذا الحكم الخارج عن القواعد الشرعية، فالضرورات تبيح المحظورات، بالإضافة إلى أن المرشح عندها كان أبا بكر، وهو شخصية مجمع على تقديمها على غيرها وعلى أحقيتها بالخلافة، ولا يتصور عليها اختلاف، وعليه فبيعة أبي بكر شرعية، ولا يجوز القياس عليها في الظروف العادية، ولذلك قال عمر مبينا الظرف الاستثنائي في هذه الواقعة: " وإنا والله ما وجدنا فيمن حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم، ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلا من غير مشورة المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا ". تغرة: يعني خشية أن يقتله الناس.

الشبهة التاسعة

قالوا إن عمر قال: إن رسول الله يهجر

عرض الشبهة:

وصف عمر رسول الله قبل خمسة أيام من موته بأنه يهجر، يعني يخلط في الكلام خرفا، معللا بذلك امتناعه عن إحضار قرطاس للنبي ليكتب للمسلمين كتابا لا يضلون به بعده، بعد أن أمر النبي بإحضاره، وبذلك تسبب عمر بأن يموت النبي قبل أن يبلغ ما أراد تبليغه من الدين لأمته، فكيف يكون عدلا من يفعل ذلك؟

الرد على الشبهة:

1- الرواية الصحيحة للواقعة هي: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: " لما حضر رسول الله، أي حضرته الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هلم أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده "، فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجد، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، واختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قوموا ".

فأنت ترى أن قائل عبارة: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر "، ليس عمر، أما عبارة عمر فهي: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلب عليه الوجد "، فنسبة ذلك إلى عمر كذب وبهتان.

نعم ورد في رواية أخرى أن بعض الصحابة قال: " أهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ "، لكن السؤال لهم هنا هو: لماذا حملتم كلمة هجر على المعنى الذي يسقط عدالة الصحابي، ولم تحملوها على معناها الآخر في اللغة المنسجم مع عدالته، وهو أنه: لا يتبين كلامه لثقل أصاب لسانه، وهذا المعنى هو الذي يتفق مع شدة وطأة المرض عليه، حتى أنه قطع الكلام أو كاد في آخر أمره، كما دل عليه حديث إشارته إلى سواك عبد الرحمن أخي عائشة عندما دخل عليه يعوده.

2- إن باعث عمر على موقفه هذا ليس هو المعصية بمنع النبي من تبليغ شيء من الدين أراد تبليغه، وإنما باعته عليه هو إشفاقه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يراه من شدة مرضه ووجعه، فهو لا يريد أن يشق عليه، وكل من يقرأ روايات وصف مرضه وشدة وجعه منه، يعذر عمر، فقد جاء في أحدها: " ... قام يريد أن يذهب إلى الصلاة، فسقط مغمى عليه فقال: قربوا لي ماء "، فأتى بالماء فاغتسل، ثم قام يريد أن يذهب للصلاة فسقط، فلما سقط الثالثة، ثم أفاق، قال: " مروا أبا بكر ان يصلي بالناس "، وقال له ابن مسعود لما عاده في مرض موته: " إنك توعك وعكا شديدا "، فرد عليه بقوله: " إني أوعك كرجلين منكم "، قال ابن مسعود: " أذلك لأن لك الأجر مرتين؟، قال : " نعم ".

3- ثم نقول إن هذا الذي أراد النبي صلى الله عليه وسلم تبليغه، هل هو شيء واجب تبليغه، لم يبلغه قبل ذلك؟ أم هو شيء سبق له تبليغه وأراد أن يؤكد ذل، فيكون تبليغه مستحبا؟.

فإن قلنا إنه شيء واجب تبليغه لأنه لم يبلغه سابقا، فإننا **نكون بذلك قد كذبنا القرآن**، لأن الله يقول: "اليوم أكملت لكم دينكم"، وكذبنا الرسول لأنه يقول: "والله، ما تركت شيئاإلا وأخبرتكم به"، **وأیضا نكون بذلك قد طعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم نفسه قبل أن نطعن بعمر**، إذ كيف لا يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما أمره الله بتبليغه من أجل أن عمر اعترض على ذلك، وينقص الدين على الأمة، **فلم يبق إلا أن نقول** هربا من هذا المآل الفاسد: إن الرسول إنما كان يريد أن يبلغ شيئا قد سبق له تبليغه، فيكون تبليغه له مستحب فقط، وهو ما يقول به أهل السنة، وهو الذي أدركه عمر، ولذلك قال: "عندكم القرآن، حسبنا كتاب الله"، ورأى أن إراحة رسول الله وهو بهذا الوجع الشديد واجبة وأولى بالتقديم على أمر مستحب، **فعمر قابل حرص النبي على التبليغ بأمرين: الأول: تطمينه بأنهم - أي الصحابة - قد أحاطوا بكل ما بلغ من الدين خبرا، والثاني: حرصه والصحابة على راحته صلى الله عليه وسلم وإشفاقهم عليه.**

4- **إن قال الشيعة: إن الصحابة عصوا، فلم يأتوه بالكتاب، فإن علي بن أبي طالب يكون أول العاصين؛ لأنه قد جاء في رواية له قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرني أن آتية بطبق يكتب فيه ما لا تضل أمته من بعده، قال: فخشيت أن تذهب نفسه - يعني قبل أن آتية بالكتاب - فقلت: يا رسول الله، إني أحفظ وأعي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أوصيكم بالصلاة والزكاة وما ملكت إيمانكم" "**، ومن هذا الحديث عرفنا أيضا ما كان يريد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغنا إياه، فلا نقص في الدين، ولا لوم على أحد من الصحابة رضي الله عنهم جميعا.

الشبهة العاشرة

قالوا إن عمر نهى عن متعة الحج، ومتعة النساء (زواج المتعة)، وهما مشروعتان، فكيف يحرم عمر ما أحله الله؟

عرض الشبهة:

1- من المعلوم أن الحج المشروع ثلاثة أنواع، ومنها حج المتمتع، وهو أن يحرم الحاج من الميقات المكاني الخاص ببلده بالعمرة، فيقول: " لبيك اللهم بعمرة "، ثم يعتمر، وبعدها يتحلل من العمرة، وينتظر إلى يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة، فيحرم بالحج من مكة دون الذهاب مجددا للميقات، فيقول: " لبيك اللهم بحجة "، ويكمل مناسك الحج، ويلزمه دم لأنه تمتع، ومع ذلك يأتي عمر في عهده فيمنعه ويحرمه، فكيف يحرم عمر ما أباح الله؟ فأبي عدالة بقيت له؟

2- من المعلوم أن زواج المتعة مشروع شرعه الله في قوله: (فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن فريضة) وجاء في قراءة: " فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى "، كما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمل به الصحابة، ثبت ذلك بالأحاديث الصحيحة، وزواج المتعة هو الزواج المؤقت بمدة، كأن يقول: تزوجتك على مهر قدره عشرة دنائير لساعة أو لأسبوع أو لشهر، وتقول قبلت، فكيف يأتي عمر وينهى المسلمين عنه ويحرمه؟ فأبي عدالة بقيت له.

الرد على الشبهة:

1- القاعدة الشرعية تقول: إن لولي الأمر سياسة أن يقيد المباح للمصلحة المشروعة. وعمر في عهده لاحظ أن كثيراً من الناس يختارون حج المتمتع، ومعنى ذلك أنهم لن يعودوا للبيت مرة أخرى ليعتمروا، وهذا يؤدي إلى شح في المعتمرين في باقي أشهر السنة، فوجه الناس إلى أن يحجوا حج المفرد وهو الحج فقط دون عمرة، وهذا يعني أنه سيرجع في وقت آخر للعمرة، وبذلك يعمر البيت الحرام بالناس طوال أشهر السنة، فعمر أراد بسياسته الشرعية هذه ألا يعرى البيت عن الخلق طوال العام، لا أنه يحرم حج المتمتع. ولذلك لما اعترض رجل على ابن عمر لأنه يفتي بتفضيل حج المتمتع، وهذا يخالف فتوى عمر بتحريمه بحسب ظنه، قال ابن عمر: " إن أبي لم يقل الذي تقولون " إنما قال: " أفردوا العمرة عن الحج " (يعني كتوجيهه أو كسياسة شرعية)، فجعلتموها أنتم حراماً وعاقبتم عليها، وقد أحلها الله، وعمل بها رسول الله، فلما أكثروا عليه (مصرين أن مقصود عمر تحريمها)، قال: " أفكتاب الله أحق أن يتبع أم عمر؟ " اهـ.

والدليل على أن عمر لم يرد تحريم حج المتمتع، وأنه مجرد رأي مصلحي رأى أنه الأفضل، هو ما رواه الصبي بن معبد أنه قال لعمر: أحرمت بالحج والعمرة معاً، فقال عمر: هديت لسنة نبيك.

2- أما أن زواج المتعة كان مشروعاً في العهد النبوي الأول فصحيح، لكن السؤال هل بقي مشروعاً؟ والجواب: لم يبق مشروعاً، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نسخ هذه المشروعية ونهى عنه وعن لحوم الحمر الإنسية كما روى علي بن أبي

طالب بعد فتح خيبر 7 هـ ، وكما روى النهي عنه سبرة الجهني يوم فتح مكة 8 هـ ، وكما روى النهي عنه سلمة بن الأكوع يوم سرية أوطاس بعد حنين 8 هـ ، في ثلاثة مناسبات مختلفة تأكيداً منه صلى الله عليه وسلم على التحريم وإعلاماً ، ولذلك لما سمع علي بن أبي طالب أن ابن عباس يفتي بحل زواج المتعة ، قال له : " مهلاً يا ابن عباس ، إن رسول الله قد نهى عنها يوم خيبر ، وعن لحوم الحمر الإنسية " ، فعمر إذا لما نهى الناس عنها إنما يبين حكمها الشرعي النهائي لا أنه يشرع لها حكماً جديداً من عنده ، يحرم فيه ما أحل الله .

أما الآية فهي في الزواج المؤبد ، وأما القراءة التي فيها التأقيت فهي قراءة شاذة وليست متواترة ، وعلى فرض أنها متواترة فنقول إن هذه الآية منسوخة بأحاديث النهي السالفة .

وأما لماذا شرعه الإسلام في وقت من الأوقات ، إذا كان يريد أن ينهى عنه لاحقاً ، فسبب ذلك هو منهج الإسلام في التدرج التشريعي في الأحكام بما يناسب قدرة المجتمع المسلم على تحملها ، فالإسلام يريد أن ينتقل بالمسلمين من حالة الاعتیاد على الزنا في الجاهلية وفوضى العلاقات الجنسية ، إلى حالة العفة وتنظيم العلاقات الزوجية بالزواج وملك اليمين ، وهذه النقلة لا يمكن واقعاً أن تحدث فجأة بخطوة واحدة ، بل لا بد من مرحلة وسيطة فيها شيء من هذا وشيء من ذاك ، فكانت مشروعية زواج المتعة ، الذي يعطي قدراً من الحرية ، لكنه يمنع اختلاط الأنساب ، فلما قوي إيمان المسلمين ، وهجروا الزنا الصريح جاء التحريم لهذا النوع الوسيط وهو زواج المتعة ، وهذا نظير ما جرى في تحريم الخمر كان على مراحل ، ليطيقه الناس .

الشبهة الحادية عشرة

اتهام عائشة وحفصة بالكفر

عرض الشبهة:

قالوا إن عائشة وحفصة أدتا رسول الله وتآمرتا عليه بسبب الغيرة من زوجته زينب حتى دفعته إلى أن حرم على نفسه شرب العسل، فأطلع الله على الأمر، وأنزل في ذلك قرآنا فيه تهديد ووعد لعائشة وحفصة، وتقرير من الله لكفرهما بما فعلتا، وذلك في قوله تعالى: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير)، وقالوا: معنى صغت قلوبكما: أي مالت من الإيمان إلى الكفر، وإذا كفرنا فكيف تكونان من العدول؟

الرد على الشبهة:

1- القصة تروىها عائشة تقول: " إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش بنت عمته وزوجته، ويشرب عندها عسلا، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير (وهو شجر خبيث الرائحة)، أكلت مغافير؟

فدخل على إحدهما، فقالت له ذلك، فقال: " لا بأس، شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود إليه "، وقال لها (وهي حفصة): لا تخبري أحدا، ولن أعود "، فأخبرت عائشة أنها نجحت في خطتها، فأنزل الله: (يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك وإذا أسر النبي لبعض أزواجه حديثا فلما نبات به وأظهره الله عليه قالت من أنباك هذا قال نبأني العليم الخبير إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما الآية).

والتفسير الصحيح لقوله: فقد صغت قلوبهما ليس هو كما قال الشيعة: مالت من الإسلام إلى الكفر، بل هو مالت عن الحق في هذا الفعل إلى الخطأ والمعصية، فدافع ما فعلتا هو الغيرة، والله لا يحاسب على ذات الغيرة لأنها فطرة وغريزة، وتكون عادة بين الضرائر، لكنه يحاسب إذا تجسدت الغيرة واقعا في صورة إيذاء واعتداء، كما حصل هنا، فحاصل الأمر أنهما أخطأتا وعصتا، ولكنهما ما كفرتا.

2- الغيرة أمر معهود طبيعي بين نساء النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنهن كانوا حزبين حزب تتزعمه عائشة، وآخر تتزعمه أم سلمة، وقد نقلت السنة بعضا مما كان يحدث بينهما من وقائع مسلية بسبب الغيرة، ومنها:

أن الصحابة كانوا لا يهدون النبي هدية إلا وهو عند عائشة، فغاض ذلك حزب أم سلمة على حزب عائشة، وطلبن من أم سلمة أن تكلم فيه رسول الله صلى الله عليه، فكلمته، فقال لها: " لا تءذيني في عائشة، فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة " فقالت: " أتوب إلى الله من اذاك يا رسول الله "، ثم توجهن إلى فاطمة، فجاءته فاطمة وقالت: " غن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر "، فقال لها: " يا بنية، ألا تحبين ما أحب؟ "، قالت: " بلى "، قال: " فأحبي هذه "، فرجعت فاطمة، فأردن منها أن تكلمه ثانية فأبت، فأرسلن زينب بنت جحش فأتته، فأغلظت في الكلام، ورفعت صوتها،

ثم سبت عائشة، فصار النبي ينظر إلى عائشة هل تتكلم أو لا؟، فتكلمت عائشة وردت عليها حتى أسكتتها، فقال النبي: "إنها بنت أبي بكر".

الشبهة الثانية عشرة

استلحاق معاوية لزياد بن أبيه

عرض الشبهة:

قالوا كيف يقوم معاوية بإلحاق زياد بن أبيه الذي هو ابن لعبيد الله الثقفي، يقوم بإلحاقه بأبيه نسباً، فصار يدعى بزياد بن أبي سفيان، وصار أخاً له؟، فهذا مخالف للشرع، لأن الله يقول: (ادعوهم لآبائهم)، فمعاوية عصي، فكيف يكون عدلاً؟

الرد على الشبهة:

1- ليس صحيحاً أن زياد ابن لعبيد الله الثقفي، لأن أم زياد هي سمية، وسمية ليس لها زوج، وكانت غانية في الجاهلية، فوقع عليها أبو سفيان وغيره في الجاهلية، والإسلام يجب ما قبله، فلا يؤخذ أبو سفيان عليه، ثم إنها أنجبت زياداً، فصار يسمى زياد بن أبيه أو زياد بن سمية، لا يعرف له أب، ولم يدع أحد أن زياد ابنه، وشب زياد رجلاً خطيباً مفوهاً، وكان من شيعة علي وولاته، فلما جاء معاوية أقره على ولايته.

2 - أما قصة استلحاق معاوية له في النسب، فإن أبا سفيان أباه طلب منه أن ينصف زياد بن أبيه، فيلحقه بنسبه، لأنه ابنه، فنفذ معاوية ذلك، ونسبه إلى أبي سفيان، وصار يقال له زياد ابن أبيه، وقد بلغ معاوية إنكار ابن عامر ذلك، فقال له معاوية: "..... إني لم أتكثر بزياد من قلة، ولم أتعزز به من ذلة، ولكن عرفت حقاً له، فوضعت موضعه".

3- ثم إنها لا تعدو أن تكون مسألة اجتهدية، هب أنه اجتهد فيها وأخطأ فهل يفسق بخطأ في اجتهد؟!، وقد ذهب المالكية إلى جواز هذا الإلحاق شرعاً، ولذا كان الإمام مالك يسميه: زياد بن أبي سفيان.

الباب الثالث

من الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

موقف أهل السنة والجماعة: أجمعوا على أن الخلافة من مسائل الفروع الفقهية، وأن أمر اختيار الخليفة عائد لأمة الإسلام بطريق الشورى السياسية، وهو معنى المبدأ المعاصر: " الأمة مصدر السلطات "، وأن أول خليفة اختاره المسلمون هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

موقف الشيعة الإمامية: ذهبوا إلى أن الخلافة من مسائل الأصول أي مسألة عقائدية، والرافضة منهم يرون أن مخالفهم فيها كافر، وأن أمر اختيار الخليفة ليس موكولا للأمة بل هو اختيار ونص من الله، وأن الله قد نص على أن الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم هو علي بن أبي طالب وبنوه واحفاده من بعده، وأن كل من تولى الخلافة سواهم هو غاصب لحقهم معتد عليهم مخالف لشرع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد استدل الشيعة الإمامية على مذهبهم هذا بأدلة نقلية وأدلة عقلية نعرض لها ونرد عليها فيما يلي:

أولاً: الأدلة النقلية

المبحث الأول

الدليل النقلية الأول

حديث الغدير أو غدير خم

1- الحديث:

روى مسلم عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فبينا خطيباً بماء يدعى خما، بين مكة والمدينة " وأنا تارك فيكم ثقلين:

أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به

و(ثانيهما): أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي "..... الخ
اهـ.

وزاد غير مسلم زيادة صحيحة هي: " من كنت مولاه فعلي مولاه ".

وزاد غيرهم زيادة اختلف في تصحيحها أهل العلم والصحيح أنها غير صحيحة، وهي: "اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه".

وزاد غيرهم زيادة قطع أهل العلم بأنها مكذوبة وهي: "وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار".

2- وجه استدلال الشيعة بهذا الحديث وزياداته على ولاية علي بن أبي طالب وبنيه:

أ - زعم الشيعة أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أوقف الحجيج في غدير خم وهو مفترق الحجيج، وكان عددهم 100000؛ ليبين لهم أن الخليفة بعده علي.

ب - المقصود بكلمة: "مولى" في قوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه": الوالي أو الحاكم.

ج - كما يستدلون بالزيادات الأخرى التي سبق بيانها آنفاً.

3 - رد علماء أهل السنة والجماعة على استدلال الشيعة الإمامية بهذا الحديث:

أ - ليس صحيحاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوقف الحجيج في غدير خم ليبين لهم ولاية علي بعده، إنما توقفوا في هذا المكان ليرتاحوا من سفرهم، وليس صحيحاً أن هذا المكان هو المكان الذي يفترق الحجيج منه إلى بلدانهم كما ادعوا، لأن هذا المكان يقع في منتصف المسافة بين مكة والمدينة تقريباً، وعليه لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم وقتها إلا حجيج المدينة، أما حجيج اليمن مثلاً أو حجيج المناطق القريبة على مكة أو شرقها أو غربها فلم يكونوا موجودين معه في غدير خم، وإنما كان خطابه لحجيج المدينة حصراً لأن الرسالة التي يريد إيصالها تختص بهم دون غيرهم، إذ كان بعضهم قد عمل تحت أمرة علي بن أبي طالب، وأساء الظن به، واتهمه بمخالفة الشرع في تصرفاته، وشكا ذلك لرسول الله، فأراد النبي أن يبرأ ساحته ويرفع قدره ليزيل ما وقر في قلوب بعض أهل المدينة من بغضه وكرهيته لما ظنوه إساءة منه.

ففي صحيح البخاري عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: جاء علي (بأمر النبي) وقبص الخمس (يعني خمس الغنيمة)، ثم اختار جارية من الخمس ودخل بها، وقال بريدة: وكنت أبغض علياً فقلت لخالد (قائد الجيش): ألا ترى إلى هذا!، فلما قدمنا إلى النبي ذكرت ذلك له، فقال: "يا بريدة، أتبغض علياً؟" فقلت: نعم، فقال: "لا تبغضه، فإن له في الخمس أكثر من ذلك"، وفي رواية أنه قال له: "من كنت ملاحه، فعلي مولاه".

وروى البيهقي بإسناد جيد عن أبي سعيد أن علياً منعهم من ركوب إبل الصدقة (وفي رواية أنها كانت حلاًلاً أرادوا أن يلبسوها)، وأمر عليهم رجلاً، وخرج إلى النبي في مكة، (ثم إن) الذي أمره عليهم قد أذن لهم بالركوب (ولبس الحل)، فلما رآهم (علي) غضب، ثم عاتب نائبه قال أبو سعيد: فلما لقينا رسول الله ذكرنا ما لقيناه من علي (من الغلظة والتضييق)، فقال: "مه يا سعد بن مالك، بعض قولك لأخيك علي، فوالله، لقد علمت أنه أحسن في سبيل الله".

وعليه وبالنظر إلى سبب الحديث الصحيح هذا يكون معنى مولى في الحديث ليس الحاكم أو الوالي؛ لأن ذلك يأباه سياق الأحداث التي قيل فيها الحديث، وإنما معناه: الموالاتة التي هي النصرة والمحبة.

ب - إن كلمة مولى في اللغة لها معان متعددة تصل إلى الثلاثين معنى، ومنها: الرب، والمالك، والمنعم، والناصر، والمحِب، والحليف، والعبد، والمعتق، وابن العم، والصهر، والحاكم..... الخ، فلماذا يفسرونها هنا حصراً بمعنى الحاكم، والحال أن ذلك يتعارض مع محكمات النصوص التي بينت أن اختيار الحاكم تقوم به الأمة ولا يعينه النص الشرعي، كما يتعارض ذلك مع الوقائع التاريخية التي أفرزت أبو بكر خليفة شرعياً بعد النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع الصحابة، كما يتعارض مع سياق الأحداث والظروف التي قيل فيها الحديث، كما يتعارض مع الفقه؛ لأنه لا يجوز شرعاً اجتماع حاكمين

في آن واحد، وفي الحديث: "إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما"، وهذا كله يجبرنا أن نبتعد عن تفسير المولى هنا بالحاكم، حتى لا نضرب النصوص بعضها ببعض، وحتى لا نقدم متشابهة على محكم.

ج - لو أراد النبي في الحديث الإمامة والحكم لجاء بكلمة صريحة قاطعة الدلالة على المراد، حتى لا يحصل خلاف، كان يقول: "علي خليفتي من بعدي"، وما كان ليأتي بكلمة محتملة، تثير كل هذا اللغط مثل كلمة مولاه، خاصة وأن الموضوع خطير ومهم يفصل بين إسلام وكفر كما يزعمون.

د - لو كان النبي يريد الحاكم لقال: "من كنت واليه فعلي واليه"، أما كلمة مولى فهي للحب والنصرة والتأييد، قال تعالى: (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير"، من المحبة والنصرة والتأييد.

وقال عن قوم إبراهيم: "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين"، فلم يعن هنا الحكم؛ فلا يليق أنهم رؤساء على إبراهيم، بل هو إمامهم ورئيسهم.

هـ فسر الإمام الشافعي الموالة في الحديث بأنه ولاء الإسلام، كما قال تعالى: (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وإن الكافرين لا مولى لهم)، فوصف الموالة ثابت لعلي في حياة رسول الله، وبعد وفاته، وبعد وفاة علي، فهو مولى المؤمنين إلى اليوم وإلى أن تقوم الساعة، أي يحبونه وينصرونه ويؤيدونه.

و - الزيادة التي استدلو بها: "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" وإن كانت غير صحيحة على الراجح، إلا أن فيها نقضا لتفسيرهم، لأنه قابل فيها بين والى وعادى، وهذا يدل على أن المقصود بمولاه: التأييد والنصرة لا الحكم.

الدليل النقلي الثاني

حديث الكساء

1- الحديث:

أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة (صباحا)، وعليه مرط (كساء من صوف أو خز) مرحل، فأدخل عليا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)".

2- وجه استدلال الشيعة بهذا الحديث على ولاية علي بن أبي طالب وبنيه:

إن الله أنزل هذه الآية وهي آية التطهير في آل البيت، وآل البيت حصرا هم المذكورون في هذا الحديث دون غيرهم، وقد دلت هذه الآية على أن الله قد أراد إرادة كونية قدرية أن يظهر آل البيت وهم هؤلاء الأربعة ويذهب عنهم الرجس، وقد صاروا بذلك معصومين، وإذا كان آل البيت معصومين فهم إذاً الأحق بالخلافة من غيرهم.

3 - رد علماء أهل السنة والجماعة على استدلال الشيعة الإمامية بهذا الحديث:

إن هذا الفهم للحديث والآية يحتوي على أغاليط عديدة، كما يحتوي على ادعاء علاقة لزومية بين أمور، والحال أنه لا لزوم بينهما. وتفصيل الرد هو:

١ - ليس صحيحا أن آية التطهير هذه قد نزلت في المذكورين في الحديث، وإنما نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم، ودليل ذلك أنها نزلت في سياق مجموعة من الآيات في سورة الأحزاب، كلها تخاطب نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه الآية دلت فقط على أن نساءه صلى الله عليه وسلم من آل بيته، أما الذي دل على أن عليا وفاطمة والحسن والحسين من آل البيت فهو حديث الكساء لا الآية، قال تعالى: (ينساء النبي من يأت منكن بفحشه مبينة يضعف لها العذاب..... * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صلحا نؤتها أجرها مرتين * ينساء النبي لستن كأحد من النساء * وقرن في بيوتكن وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا * واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كن لطيفا خبيرا).

وقد ادعى الشيعة أن كلمة " عنكم " وكلمة " يطهركم " في آية التطهير اشتملتا على ميم الجمع، وهي تمنع أن يكون المراد نساء النبي، لأنه لو أرادهن بها لقال: " عنكن "، و " يطهركن " باستخدام نون النسوة، وعليه فقد خرجن من هذه الآية ودخل علي وفاطمة والحسن والحسين فيها؛ بدلالة حديث الكساء.

والرد عليهم هو: أنه استعمل ميم الجمع لا نون النسوة في الخطاب؛ لأنه شمل معهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تغليبا للذكورة كما هي عادة الشارع، ومثله قوله تعالى عن زوجة إبراهيم: (قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركته

عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)، ومثله أيضا قول موسى لزوجته كما أخبر الله: (وقال لأهله امكثوا إني ءانست نارا لعلي ءاتيكم منها بخبر)، وقول امرأة العزيز لزوجها: (ما جزاء من أراد بأهلك سوءا) تعني نفسها.

ب - ليس صحيحا أيضا أن آل البيت هم فقط الأربعة المذكورين في حديث الكساء، بل منهم أيضا نساؤه كما دلت آية التطهير، وأيضا حديث غدير خم الذي رواه زيد بن الأرقم وعقب عليه راويه زيد بقوله: " نساؤه من أهل بيته "، كما دل حديث الغدير أيضا على أن من آل لبيت أيضا كل آل هاشم المسلمين، وأنهم كلهم حرم الصدقة، وهو حكم تعبدى خاص بآل البيت، حيث لا يحل لفقرائهم أخذ الزكوات والصدقات، ولذلك عندما طلب اثنان من شباب بني هاشم من النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعملهما في جمع الصدقات رفض، وقال لهما: " إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد، إنما هي أوساخ الناس "، والشابان هما: عبد المطلب بن ربيعة والفضل بن العباس.

ج - ليس صحيحا أن المقصود بكلمة: " يريد " في آية التطهير الإرادة القدريّة الكونية، بل المقصود بها إرادة المحبة أو الإرادة الشرعية، فليس المعنى أن الله أذهب عنهم الرجس، بل المعنى: أن الله يحب أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم، وأنه يطلب منهم ويكلفهم بأن يذهبوا الرجس عن أنفسهم ويطهروها، ودليل ذلك:

= أنه جاء في رواية لحديث الكساء عند الترمذي: " اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس "، فإذا كان الله أذهب عنهم الرجس قدرا وكونا فلماذا يدعو لهم النبي صلى الله عليه وسلم بإذهاب الرجس عنهم؟!.

= قد وردت النصوص الشرعية بإرادة الله إذهاب الرجس عن كل أحد وعن كل مؤمن، قال تعالى: " وثيابك فطهر "، وهو أمر عام لكل مسلم، وأمر بالوضوء وأمر بالاغتسال.

= كما وردت النصوص الشرعية بإرادة الله تطهير غير المذكورين في حديث الكساء، قال تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)، وقال أيضا: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)، وقال أيضا في حق شأن أهل بدر: (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ...).

= أمثلة الإرادات الشرعية في النصوص الشرعية كثيرة، فالله يريد أن يخفف عن عباده ويريد أن يتوب عليهم، فهل تاب الله على جميع الناس؟، لا طبعاً لأن المقصود أنه يريد منهم أن يتوبوا ليتوب عليهم لكن القليل منهم من يمثل لهذه الإرادة الشرعية التكليفية.

د - ليس صحيحا أن إذهاب الرجس والتطهير على فرض حصوله لهم قدرا أو بأيديهم يعني أنهم معصومون، وإلا كان كل أهل بدر الذين نزل فيهم: (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ...) كذلك معصومين، فمن أين أتوا بهذه العلاقة الزومية بين الأمرين؟!.

هـ - وليس صحيحا أيضا أن إذهاب الرجس والتطهير على فرض حصوله لهم قدرا أو بأيديهم يعني أنهم الأحق بالخلافة، لأن الأمر لا ينحصر بهم بل يشاركهم به أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كما مر في النصوص السابقة، ثم من أين جاءوا بعلاقة اللزوم بين التطهير والخلافة وقبلها بين التطهير والعصمة؟!.

خلاصة الأمر أن نقول: صحيح أن آل البيت في عصره صلى الله عليه وسلم قد أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم بإيمانهم وأعمالهم الصالحة كما دلت النصوص الشرعية، لكن ذلك لا يقتضي أكثر من أنهم أولياء الله ولرسوله وللمؤمنين غيرهم، ولا يقتضي ذلك تميزا بعصمة أو خلافة.

الدليل النقلي الثالث

آية الولاية

1- الآية:

وهي قوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين ءامنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون).

2 - وجه استدلال الشيعة بهذه الآية على ولاية علي بن أبي طالب وبنبيه:

ذهبوا إلي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب ويرون حديثا عنه أنه كان راكعا في الصلاة، فجاء فقير يسأل الصدقة أو الزكاة، فمد علي يده وفيها خاتم، فأخذ الفقير الختم من يد علي، فأنزل الله هذه الآية، قالوا: وما أعطى حد الزكاة وهو راكع إلا علي، فصار هو الولي والخليفة بنص الآية.

3 - رد علماء أهل السنة والجماعة على استدلال الشيعة بالإمامية بهذه الآية:

أ - إن هذا الحديث الذي يروونه سببا لنزول الآية لا يصح، بل إن السبب الصحيح لنزول هذه الآية هو أنه نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه عندما توجه إليه يهود بنو قينقاع بعد خيانتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وحصول الخصومة معه، وأرادوا من عبادة أن يكون معهم، فرفض وعاداهم وتولى الله ورسوله، في حين أنهم لما ذهبوا إلى عبد الله بن أبي بن سلول والاهم ونصرهم ووقف معهم، وشفع لهم عند النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآية السالفة تمدح موقف عبادة، ونزلت آية غيرها تدم موقف عبد الله، وهي قوله تعالى: (يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصرى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم فإِنَّه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين).

ب - إن الأصل في الصلاة الخشوع فيها وعدم الاشتغال بغير أفعالها وأقوالها، فقد قال تعالى: (قد أفلح المؤمنون* الذين هم في صلاتهم خاشعون)، وجاء في الحديث: "إن في الصلاة لشغلا"، فكيف يظن بعلي أن يقطع خشوع صلاته ليتصدق؟!.

ج - إن المزكي لا ينتظر الفقير حتى يأتيه ليعطيه الزكاة، بل الأفضل أن يبحث المزكي عن الفقير ليدفعها له.

د - لم تجب الزكاة علي علي في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان فقيرا، ولذلك لم يجد نقدا يدفعه مهرا لفاطمة، فأمرها درعه.

هـ - لو كان معنى الآية مدح من يدفع الزكاة أثناء ركوعه، لكان فعل ذلك مستحبا، ولاشتهر ذلك بين الناس وفعلوه، وعند العلماء فأفتوا به، لكن شيئا من ذلك لم يحصل، فلم ينقل عن أحد من العلماء أنه قال به.

و - لا يمكن أن يكون المراد بالركوع هنا في الآية ركوع الصلاة كما قال الشيعة، لأنه ذكره بعد أن ذكر إقامة الصلاة، وإقامة الصلاة تتضمنه، فلا بد إذا أن يكون المراد بالركوع هنا معنى آخر، وهذا حق، فالمقصود بالركوع في الآية كما فهم علماء السنة هو الخضوع لله، ومثله قوله تعالى عن داود عليه السلام: (وخر راکعاً وأناب)، ومعنى خر: سجد، فكيف يسجد راکعاً؟!، هذا لا يستقيم، والمعنى الصحيح هو أنه سجد ذالاً لله خاضعاً له.

ومنه قوله تعالى: (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون)، أي اخضعوا واستسلموا لأمر الله.

ومنه أيضاً قوله تعالى: (يمريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين)، أي: اخضعي لأمر الله، لا أنها تسجد وتركع مع الساجدين والراكعين في دور العبادة؛ لأن مريم لا تجب عليها صلاة الجماعة.

ز - لو حملنا معنى " وليكم " في الآية على الحكم، لأدى ذلك إلى معنى لا يليق بحق الله وهو أن الله أمير على عباده، فالله هو خالقهم ورازقهم وربهم ومالكهم، لا أميرهم.

ح - صيغة الآية جاءت بالجمع، فكيف يراد بها علي؟!، صحيح أنه قد يطلق اللفظ المفرد في الكلام ويراد به الجمع، لكن ذلك إن وجدت قرينة تدل على أن المقصود به الفرد، ولا قرينة هنا، فيبقى على معناه الظاهر وهو الجمع.

ط - على فرض نزولها في علي، فهل تدل على الخلافة؟ لا طبعاً، بل تدل على مجرد وجوب أن نتولى علياً؛ ونحن نتولاه رضي الله عنه.

ي - ذهب علماء الشيعة إلى أن المقصود بقوله: (إنما) الحصر، وعليه تبطل خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ونرد عليهم بأن ذلك لو سلمنا به يقتضي أيضاً بطلان خلافة الحسن، والحسين، وبقية الأئمة من أحفاد علي.

ك - يستطيع أي أحد أن يأتي بحديث مكذوب ينصر به صاحبه، فأنصار معاوية مثلاً يستطيعون أن يأتوا بحديث مكذوب ويقولون نزلت في معاوية، وكذا أنصار عثمانالخ.

الدليل النقلي الرابع

حديث المنزلة

1- الحديث:

جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أمر عليا رضي الله عنه بالجلوس في المدينة، وأن يكون خليفته على عائلات آل البيت، وألا يخرج مع الجيش، فتكلم المنافقون وقالوا: إنما خلفه وراءه بغضا له واستثقالا لصحبته، فبلغ ذلك عليا وأحزنه، فتبع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المدينة، وفي رواية أنه بكى، فقال: يا رسول الله، أتخلفني في النساء والصبية؟!، فطيب النبي صلى الله عليه وسلم خاطره، وقال: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون وموسى، إلا أنه ل نبي بعدي".

2 - وجه استدلال الشيعة بهذا الحديث على ولاية علي بن أبي طالب وبنيه:

قالوا: إن عبارة النبي صلى الله عليه وسلم هنا: "ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي" تثبت لعلي رضي الله عنه منزلة من النبي صلى الله عليه وسلم هي ذات المنزلة التي كانت لهارون من موسى - عليهما السلام - إلا ما استثناه النص أو الواقع وهما النبوة نصا، وقرابة الأخوة واقعا، فليس علي نيبا كهارون، ولا هو شقيق لمحمد صلى الله عليه وسلم كما كان هارون شقيقا لموسى عليهما السلام، لكنه ابن عمه، أما ما سوى ذلك فكل ما كان لهارون من موسى فهو لعلي من محمد، ومعنى ذلك أنه يثبت لعلي: اختصاصا دائما بخلافته صلى الله عليه وسلم حيثما غاب، لأن موسى لما غاب استخلف هارون علي بني إسرائيل، فكذا علي هو الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن في الحديث رفع لمقام علي على بقية الصحابة - رضي الله عنهم - بتشبيهه في المنزلة بهارون النبي عليه السلام.

3 - رد علماء أهل السنة والجماعة على استدلال الشيعة الإمامية بهذا الحديث:

أ - إن قضية الخلافة خارجة عن وجوه الشبه بين علي وهارون؛ لأن هارون ببساطة مات قبل وفاة موسى بسنة، ولم يكن الخليفة بعده، وإنما تولى الخلافة بعده فتاه يوشع بن نون.

ب - الأمر بينهما مختلف أيضا فهارون كان خليفة على كل بني إسرائيل وكان فيهم رجال وعسكر، أما علي فلم يكن خليفة على كل المدينة، بل على أسر وعائلات آل البيت فقط، أما الذي استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة فهو محمد بن مسلمة، فكيف تقولون إنه اختصاص دائم بالخلافة، وقد وقع في مناسبة سابقة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة واستخلف عليها الصحابي الكفيف ابن أم مكتوم، وولى أبا بكر على بعثة الحج سنة 9هـ، وأيضا لما خرج صلى

الله عليه وسلم إلى حجة الوداع سنة 10 هـ لم يستخلف عليا على المدينة، وكان عليا باليمن، فأين هذا الاختصاص الدائم المدعى بخلافة النبي صلى الله عليه وسلم حيثما غاب؟!.

ج - إن النبي صلى الله عليه وسلم إنما طيب خاطر علي بهذا الكلام بعد أن تأثر علي بكلام المنافقين وجاء شاكيا باكيا لرسول الله، ولولم يأت إليه يشكو لما قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا الكلام، ولو استخلف غيره وشكى فلا يبعد أن يقول له نفس العبارة تطيبها لخاطره أيضا، ولقائل أن يقول لماذا لم يشك غيره غند استخلافه وشكى هو؟ السبب أن استخلافهم كان على المدينة وكان بها رجال وعسكر، أما في غزوة تبوك فقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالجيش كله، ولم يبق بالمدينة إلا العاجزين عن الخروج فقرا أو مرضا، والنساء، والأطفال، والمنافقين، فأحزن ذلك عليا وشكى.

د - لو كان علي يعلم أن ترك النبي له إنما هو تطبيق لقاعدة اختصاصه الدائم بخلافته حيث غاب وأن ذلك منقبة له، كما فهم الشيعة وادعوا، فلماذا يأتي علي باكيا شاكيا؟!، ألا يعرف أن له اختصاصا دائما بخلافته صلى الله عليه وسلم حيث غاب؟!، إن عليا فهم أنها منقصة لا منقبة، أجهلها علي وينساها ولا يفهمها وتفهمونها وتعلمونها أنتم أيها الشيعة؟!.

هـ - أما تشبيه علي بهارون، وأن ذلك يرفعه قدرا على بقية الصحابة، فليس بصحيح؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم في مناسبة سابقة وهي مناسبة استشارة الصحابة في شأن أسرى بدر شبه أبا بكر بإبراهيم وعيسى، كما شبه عمر بنوح وموسى وهم عليهم السلام من أولي العزم من الرسل وأعلى منزلة من هارون. فقال صلى الله عليه وسلم: "إن مثلك يا أبا بكر كمثلك إبراهيم ومثلك كمثلك عيسى ثم التفت إلى عمر فقال: إن مثلك مثل نوح ومثلك مثل موسى ...".

الدليل النقلي الخامس

آية ذوي القربى

1- الآية:

وهي قوله تعالى: (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين ءامنوا وعملوا الصلحت قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور) سورة الشورى: 23 آية.

2 - وجه استدلال الشيعة بهذه الآية على ولاية علي بن أبي طالب وبنيه:

ذهبوا إلي أن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الناس بأن يقابلوا معروفهم معه بدعوتهم إلى الإسلام بأجر وحيد لا يسألهم غيره، وهذا الأجر هو أن يودوا قرابته، ونقل بعضهم إجماع العلماء على أن المقصود بقرابته آل بيته، وهم: فاطمة، وعلي، والحسن، والحسين.

3 - رد علماء أهل السنة والجماعة على استدلال الشيعة الإمامية بهذه الآية:

١ - هذا الفهم للآية خاطئ من جهتين: من جهة المخاطب، ومن جهة حقيقة الخطاب.

= أما من جهة المخاطب فالصواب هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخاطب عموم الناس هنا، وإنما يخاطب بشكل خاص قرابته وهم أهل قريش.

= وأما من جهة حقيقة الخطاب، فالصواب هنا:

1 - أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطلب أجرا على دعوته للناس؛ لأن الأنبياء عليهم السلام بنص القرآن وفي مواضع عديدة لا يجوز ولا يليق منهم أن يطلبوا أجرا من الناس - هو الدنيا - على تبليغهم رسالة ربهم، وإنما أجرهم على الله، فكلهم قالوا لأقوامهم: (وما أسئلكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين)، فلو أخذنا بفهم الشيعة للآية من حيث المخاطب لأدى ذلك أن تناقض آيات القرآن بعضها بعضا، وكان فيه تهمة لنبيينا صلى الله عليه وسلم أنه يسعى وراء الدنيا وحطامها.

2 - أن ما طلبه النبي صلى الله عليه وسلم من قرابته وهم أهل قريش هو المودة في القرابة التي تربطهم به، فكأنه يقول: ولكن راعوا القربى التي بيننا ولأجل حق هذه القربى دعوني أدعو الناس، فأنا لا أريد منكم شيئا سوى ذلك.

ولو حملنا الآية على فهم الشيعة وهو أنه يطلب أن يودوا قرابته لناقض بعض آية ذوي القربى بعضها الآخر، لأن كل قریش قرابته، فكيف يقول لأهل قریش - وهم من الناس - ودوا أنفسكم، ولذلك أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبیر قال: سئل ابن عباس عن قول الله تبارك وتعالى: (قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)، فقلت: إلا أن تودوني في قرابتي. فالتفت إلي عبد الله بن عباس (معترضا على فهمه) وقال: عجلت، فوالله ما من بطن من بطون قریش إلا ولمحمد فيهم قربى. فقال (معطيا المعنى الصحيح للآية): إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من قرابة (يعني صلوا الرحم بيننا واتركوني أدعوا لناس).

ب - بناء على ما سلف فإن الشيعة اعتبروا أن الاستثناء الوارد في آية ذوي القربى هو من قبيل: الاستثناء المتصل وهو الاستثناء الذي يكون فيه المستثنى من جنس المستثنى منه، ويكون معنى " إلا " : أستثنى، وقد قلنا إن ذلك يؤدي إلى معنى فاسد.

أما أهل السنة فاعتبروا أن الاستثناء هنا استثناء منقطع، وهو الاستثناء الذي يكون فيه المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، وتكون بذلك الجملة التي بعد إلا جملة مستأنفة، ويكون معنى " إلا " : لكن، وهو الصحيح.

ج - ومما يقوي تفسير أهل السنة لمعنى الآية أن هذه الآية مكية نزلت قبل الهجرة، وحينها لم يكن عليا قد تزوج فاطمة ولم يكن حسن ولا حسين.

د - إن القرآن في كل المواضع التي يريد فيها أن يتكلم عن التوصية بحقوق الأقارب، يستخدم تعبير: " ذوي القربى "، ولا يقول: " في القربى " كما عبر في هذه الآية. وهذه الملاحظة لاحظها شيخ الإسلام ابن تيمية.